صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقـاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصـدر مؤقتاً فى أول كل شهر ونصفه

بدل الاشـتراك
م
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد الثالث عشر « القاهرة فى يوم السبت ٢٢ ربيع اول سنة ١٣٥٢ — ١٥ يوليـــه سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

فهرس العـــدد

صفحة

٣ شروج وحواشى : احمد حسن الزيات
٥ لغو الصيف : للدكتو ر طه حسين
٧ آفة اللغة هذا النحو : للزيات
٨ رأى فى أوراق الورد : للآنسة عفيفة سيد
١٠ دودعلي عود : للدكتور محمد عوض محمد
١٢ توفيق الحكيم : للدكتور حلمى بهجت بدوى
١٦ عمالقة الاشجار : للدكتور محمد بهجت
١٨ العبقرية : للاستاذ الحومانى
٢٠ بلاط الشهداء : للاستاذ محمد عبد الله عنان
٢١ الى روح شوقى : لعمر ابو قوس
٢١ دعابة : لرفيق فاخورى
٢٢ الحرية فى الكتابة : لمحمد قدرى لطفى
٢٣ عكاظ والمربد : للاستاذ احمد أمين
٢٦ شوقية لم تنشر : (الرفق بالحيوان)
٢٦ بين صياد وأسد : للاستاذ جميل صدقى الزهاوى
٢٦ الخريف : لخليل هنداوى
٢٧ عبقر : لشفيق المعلوف
٢٨ بين صديقين : للاستاذ يعقوب قدرى
٣٠ لامرتين والخريف : لمحمود فهمى ادريس
٣٢ الاشعاع : للدكتور احمد زكى
٣٥ دموع بريئة : للاستاذ محمود الخفيف
٣٩ الى بئر جندلي : للاستاذ الدمرداش محمد
٤١ اهل الكهف : للدكتور على مصطفى مشرفه
٤١ النجوم فى مسالكها : ا . ح .
٤٢ رحلة الى بلاد المجد المفقود: م. الخفيف

شروح وحواشي

<u>الشعر بعد أميريه</u> : عام مضى أو كاد على يومى حافظ وشوقى ! فهل شَعب القلوب الدامية عنهما سلوان ، وعزى النفوس الآسية منهما عوض ؟ لا يزال الجزع يهفو بالأفئدة على مستقبل الشعر اليتيم ، ولا يزال الصمت الموحش يقبض الصدور فى خمائل الوادى، بلى ، نشط فى مصر القريض ، وتجاوبت الافراخ النواهض بالأغاريد ، ولكن أصواتها الناعمة الرخوة لم تملأ الاسماع ولم تطارد الوحشة ، ولاحت فى سورية المهاجرة مواهب النبوغ ، ودلائل القيادة ، ولكن البعاد يبدد الصوت القوى ، والاغتراب يوّهن الجهد الجهيد .

كان اسم حافظ واسم شوقي علمين على الشعر فى العهد الأخير ، وكان الناس يؤمنون بقوة أدبية لازمة تظاهر نهضتنا ، وتساير ثقافتنا ، فى هذين الشاعرين . فكلما خفقت القلوب لنزوة من الألم ، أو لنشوة من الأمل ، اصغت الأسماع تنتظر من رياض (الجيزة) او ربى (حلوان) تلحين هذه العواطف ، أو تدوين هذه المواقف . فلما خلا مكان الرجلين وقع فى الأوهام وجرى على بعض الاقلام أن تلك القوة زالت وان زمان الشعر ذهب ! لحاول عشاق الأدب ورواض القريض أن يقروا فى الرءوس سلطان هذا الفنُ، ويقرروا فى النفوس وجود هذه القوة . فحشدت جماعة (ابولو) جميع وحداتها، وعزفت جوقتها على جميع آلاتها ، وشرقت الصحف والمجلات بفيض القرائح الشابة ، ودعا الكهول القرّح الى عقد موسم للشعر ، والزمن الذى يمحص الاشياء فينفي البهرج ، الزائف ويثبت الحق الصريح ، هو الذى يعرف مكان هـذه الجهود ، من عالم الفناء او من عالم الخلود

موسم الشعر: وقع فى نفس الأستاذ الهراوى منذ شهرين ان يدعو الشعراء الى مواضعة الرأى فى اقامة موسم للشعر، فلبي فريق، وتأبى فريق، ورأت جماعة (ابولو) في الدعوة احتكارا لفضل الفكرة، واقتصارا علي بعض أغراض الشعر فأهملتها، ثم قررت ان تقوم هى بمهرجان سنوى جامع. ثم سعى بين الجماعتين ساع من حسن النية وشرف القصد فاتفقتا على العمل معا، ثم اجتمع اعضاؤهما في دار لجنة التاليف والترجمة والنشر، ونظروا فى نظام الجماعة ومنهاج العمل، ومضى الشعراء الموظفون يلتمسون من معالى وزير المعارف شرف الرآسة للموسم فأجاب الملتمس، ثم اضطربت الألسنة والاقلام بالفكرة التي قام عليها، والغاية التى يقصد اليها، فلم نخض مع الخائضين وانما تحدثنا الى القائم بالدعوة نستجلى منه الغرض فما أجاب الا جمجمة، فقلنا ليس فى الأمر اذن الا قصائد تنشد على المسرح، وتصفيق يدوى فى المحفل، ثم ريح لينة تذهب رخاء بهذه الاصوات الى مجاهل الأبد.

ولكن موسم الشعر تولى امره نفر من كبار الأدباء فرسموا خطته وعينوا وجهته، ونشروا ذلك فى بيان للناس فجعلوا وجوده أمرا لاشك فيه، وتسجيله عملا لابد منه.

أصبحت (جماعة موسم الشعر) بحكم البيان المنشور بجمعا أدباله وسائله وله أغراضه. فأما وسائله فقرض الشعر للفصيح ووضع البحوث فى الأدب، والقاء المحاضرات فى الموسم، وأما أغراضه فاقامة موسم عام للشعر العربى فى مدينة القاهرة. و (العمل للاحتفاظ فى الشعر العربى بقوة الأسلوب ووضوحه، والجرى على ما تقتضيه ضوابط اللغة من الصحة وما تتطلبه خصائص البيان من بعد الأسلوب عما يضعفه أو يفنيه فى غيره أو يقطع صلة حاضره بماضيه، وتقريب ما بين الشعر العربى وغيره مع المحافظة على السنن العربى والعمل لتنوع أغراضه وفنونه وأخيلته ومعانيه، وابراز الحياة الحاضرة والمدنية القويمة فى صورها الصحيحة، والمحافظة فى الشعر على الذوق العربى مع مماشاته لحاجات العصر وروحه. وتوجيه الشعراء إلي القيام بحاجة العامة والتلاميذ من الشعر فى أغانيهم وأناشيدهم، وحفز مواهب الشعراء إلى تهيئة السبل لظهورها والانتفاع بها، وخدمة اللغة العربية ونشر آدابها وتقويم ملكاتها وتنمية ثروتها من الالفاظ والمعاني والاخيلة، وتوثيق الصلات الأدبية بين مصر والأقطار العربية الأخرى.)

والرسالة تؤيد هذه الاغراض السامية من غير تحفظ، وتدخر غبطتها بها وتصفيقها لها ليوم التنفيذ؛ فان صوغ الأماني ووضع الانظمة واذاعة العزم شيء، وتجويد العمل وتنفيذ الفكرة وتحقيق الغرض شيء آخر. ولعلك تذكر ان (مجمع اللغة العربية الملكى) سُن له قانون، ورصدت له أموال، ورشحت له رجال، ودعيت اليه دعوة، ووعدت به حكومة، ومع ذلك قد انقضى عليه عام وهو لايزال كما كان منذ سنين عِدةً من عدات المنى، وحديثا من أحاديث الظنون!!

عيد المولد: لعل أروع المظاهر الاسلامية فى مصر مولد الرسول، لانه ائتلاف منسجم من جلال الدين وأبهة الحكومة وابتهاج الشعب، ولكنه كذلك أدل الدلائل على البطء الفاتر فى شيوع المدنية وارتقاء الذوق فى مهد الحضارة القديمة، واسبق الشرق القريب الى الحضارة الحديثة!

ان كنت ذهبت الى هذا الاحتفال منذ بضعة أيام، فثق أنه هو الذى ذهب اليه أجدادك منذ عشرات أعوام!: خيام مضروبة على الثرى الجديب، ومطاعم منصوبة على الطريق المغبر، وملاعب كنماذج الصناعة فى عهد (ما وراء الفن)، وملاه يراها المثقف فيظن نفسه فى مصر غير مصره، أو فى عصر غير عصره!

اظهر المظاهر في هذا العيد شيئان: الاسهم النارية وهى الشيء الوحيد المدنى، لأنها الشيء الوحيد الاجنبى! والحلوى، وهى موضع البلوى ومحل النظر!: حوانيت خشبية وقتية ثابتة أو منتقلة، تكدست فوق رفوفها البالية ألوان (السمسمية والحمصية والسكرية والعلف)، ثم قامت على حواشيها تماثيل وعرائس هشة من الحلوى الرديئة، عليها غلائل فاقعة الألوان من الورق المصبوغ، وكل ذلك فى غير ذوق ولا جمال ولا فن، وكل ذلك من غير غطاء ولا وقاء ولا ستر! انما هي مهبط للذباب والغبار، طول الليل وطول النهار! يراها الخاصة فيشمئزون من شكلها القبيح، وقذرها البادى، وبائعها الوسخ، ويحملها العامة الى بيوتهم فى المناديل الغليظة والجرائد القديمة فيحملون مثابة للنمل ومباءة للجراثيم!

أن حلوى عيد الميلاد فى ديسمبر، وألعاب يوم الحرية فى يوليو، مثلان أجنبيان فى سلامة الذوق وجمال المظهر وحسن المتاع، فلتبق حلوانا وطنية، ولتبق ألعابنا شرقية، ولكن ارقوا بالذوق والجمال والصحة فأدخلوا عليها شيئاً من المدنية!

احمد حسن الزيات

لغـــو الصيف

للدكتور طه حسين

— ٢ —

من هنا ، ياأستاذ من هنا ! وائذن لى في أن اسعى بين يديك فلا بد لك من دليل . ثم سعت امامه رشيقة انيقة فى طريق طويلة جميلة ، يحفها من جانبيها الشجر والزهر ، وفيها قليل من ضيق ، وشيء من التواء . وقد استمتعت الاشجار القائمة على جانبيها بشيء من الحرية عظيم لا يستمتع به الناس فى هذه الأيام ، فمدت اغصانها كما شاءت فى غير نظام ، حتى اختلط بعضها ببعض والتف بعضها ببعض . وجعلت الآنسة تسعى أمامى رشيقة رفيقة ، وتجدّ فى التفريق بين هذه الاغصان الملتفة المتعانقة لتشق طريقها وطريق صاحبها ، وكأنها كانت تجد فى ذلك شيئا من العسر اللذيذ ، فكانت تحاول ان تعتذر بهذه الجمل السهلة اليسيرة الفارغة التي تقال فى مثل هذه الحال : ليست الطريق سهلة هنا ، يجب أن تحتاط ، وما رأيك فى هذه الاغصان التى تريد أن تداعبنا وان لم نطلب اليها المداعبة ؟ حقا لقد اسرفنا فى اهمال هذه الاشجار فاسرفت فى الانتفاع بحريتها . وكان صاحبها يجيب على هذه الجمل بضحك فارغ لايدل على شيء الا على انه لم يكن يجد ما يقول . لأنه لم يكن يسمع لهذه الجمل التى تلقى الا باحدى اذنيه . وقد كانت نفسه كلها مفتونة بهذه الطبيعة الحرة المطلقة ، وبما بينها وبين حياة الناس فى هذه الأيام من تناقض واختلاف . ولعله كان يعجب بهذا القوام المعتدل الذى كان يسعى أمامه فى رفق ، ويجاهد هذه الاغصان فى لباقة وظرف ، ولكنه كان يخفى حتى على نفسه هذا الاعجاب الذى لو أحسته صاحبته لضاقت به ضيقا شديدا . حتى اذا طال سعيهما فى هذه الطريق الخفية الملتوية انتهيا الى رقعة واسعة رحبة من الارض ، قد فرشت ببساط ناعم كثيف من العشب ، وانتثرت فيها قطع بديعة من الزهر ، قد نسقت أحسن تنسيق واجمله ، وقامت فى وسطها مائدة قد نثرت عليها أوراق الورد فى كثرة تلفت النظر . فلما انتهيا الى هذا المكان الهادىء الباسم الجميل ، ارسلت من صدرها زفرة ضاحكة وهي تقول : لقد انتهى الجهد وآن للتعب أن يستريح ، اجلس ياسيدى فهنا يحسن الحديث فيما اظن . قال : بل هنا يحسن الاستماع . قالت : الاستماع لمن ! الاستماع لماذا ؟ قال : الاستماع لك والاستماع لهذا الصمت الناطق من حولنا . قالت : دع عنك الاستماع لى فما احسب الا انك قد سئمته ، او ستسأمه ، وما أحسب الا انك قد زهدت فيه او سترهد فيه حين يستأنف بيننا الحوار ، فسيستأنف بيننا الحوار من غير شك ، ولكن حدثني عن الاستماع للصمت كيف يكون ؟ وحدثنى عن الصمت كيف ينطق أو كيف يصدر عنه الكلام ؟ وكانا فى أثناء هذا الحديث قد أخذا مكانهما الى المائدة وجها لوجه . وكان صاحبها حائر النظر بعض الشيء يردده بين السماء والأرض ، ويردده بين قطع الزهر المنتثرة من حوله وبين آنية الزهر القائمة على المائدة ، وبين أوراق الورد المنثورة بين يديه . قالت : الست قد زعمت لى منذ أيام انك تحب لثم الورد وشم القرنفل ؟ فهذا هو الورد تستطيع أن تمتع نفسك به كيف احببت ، انظر اليه مختلفا الوانه مستويا على سوقه ، بعضه قد هام بالحياة والضوء فانبسط لهما انبساطا واخذ يلتهمهما التهاماً ، وبعضه قد داحبهما ، ولكنه يسمو اليهما فى استحياء فيتفتح لهما قليلا قليلا ، وبعضه يحسهما وينعم بهما ، ولكنه لايكاد يشعر بهذا الحس وهذا النعيم ، فهو أكمام لم تتفتح بعد . وانظر اليه اسيرا فى هذه الآنية لم يبق فيه من الحياة الا ذماء يسير يمسكه عليه هذا الماء الذى تحتويه الآنية . وانظر اليه صريعا قد فقد الحياة وتفرقت أوراقه ، وانتثرت بين يديك غضة ، ولكنها تسرع الى الذبول أو يسرع اليها الذبول . وهذه زهرات من قرنفل قد هيئت لك وفرقت فى آنية الورد تبعث اليك عرفها هادئا قويا . فماذا تريد فوق هذا ؟ قال : لاأريد الا أن تمضى فى هـــذا الحديث الذى اخذت فيه منذ الآن ، فانى لا أعرف ترجمة عن هذا الصمت الذي كنت اريد ان اسمع له ابلغ من هذه الالفاظ التى ينثرها حديثك العذب . قالت : ومازلت مشغوفا بالعبث لاتفرغ منه الا لتعود اليه . لقد انبأتني عن حبك للورد والقرنفل ، فها أنت ذا بين الورد والقرنفل ، فحدثنى أنت بحديثهما فانت أعلم به واقدر عليه منى . قال :

ما اعرف يا آنسة ان لهما حديثا يحكى ، فان كان لهما حديث فما اعرف أن أحدا يستطيع أن يحكيه غيرهما فاستمعي لهما ان شئت ، وغيرك فأسمعيني حديثهما ان شئت ، فانما انت زهرة بين الزهر . قالت : كأنك تريد ان تحفظني . فاعلم أنك لن تبلغ ماتريد ، ولن تثير حفيظتي ، ولن تصرفني عما ازمعت من ان اسمع منك حديث الورد والقرنفل . فلا تلتو به فلن ينفعك الالتواء . واقبلت خادم تسعى وهي تحمل صينية عليها ابريق وأكواب . فوضعت ابريقها ، وصفت اكوابها ، وانصرفت متثاقلة . وكانت عجوزا شمطاء قد انحنت قامتها ، واسرف الذبول فى وجهها ، فلم تكد تبقي فيه قطرة من حياة . وكأن منظرها فى هذا الفناء مناقضا أشد المناقضة لما يحيط بها من هذه الحياة القوية ، فهم ان يتكلم ، ولكن صاحبته قالت وقد فهمت عنه ما كان يريد : ومع ذلك فهي انشط منك للحياة ، واحرص منك على نعيمها ولذاتها ، لايفوتها موسم ، ولا يفلت منها عيد ، ولا تقصر عن فرصة ان سنحت لها لتشترك فيما يراه الناس سعادة ونعيما أولهوا وصفوا . وهي بعد هذا كله صماء مغرقة فى الصمم تستطيع أن تتحدث اليها وتصيح بها فلن تسمع لك ولن تفهم عنك . وهي بعد هذا وذاك قد نيفت على الستين . ولكن هات حديث الورد والقرنفل .

ثم عمدت الى الابريق فملأت منه قدحين وهي تقول : لقد انسيت ، فهذا يوم الورد تستطيع ان تراه وان تشمه ، وان تلمسه وان تلثمه ، وان تشربه أيضا . فليس فى هذا القدح بين يديك إلا ماء الورد .

والآن تحدث ، فقد يحسن الحديث . قال : أى حديث يحسن فى مصر وما اعرف بلدا افضح لسر الحديث ، واكلف بنشره واذاعته من هذا البلد . اتذكرين ؟ قالت : وكيف لا اذكر ! انك تشير الى مجلسنا ذاك على شاطىء النيل ، وإلى حديثنا هناك عن شيوخ الادب وشبابه . فقد نشر هذا الحديث فى الرسالة . قال : ومع ذلك فلم يكن فى مجلسنا ولا قريبا منه احد . قالت : ولست انت قد القيته الى من اذاعه ، هذا شيء لاشك فيه . قال : ولا أنت ، هذا شيء لم يخطر لى . قالت : واذن ؟ قال : واذن فهو طائر من هذه الطير التى تؤوى الي الاغصان اذا كان الاصيل ودنا الليل فنسمع حديث الناس وتعيه ، وتلقيه في روع الكتاب والشعراء . أو هو جني من هذه الجن التى تألف شاطىء النيل فتقيم فى ظل الاشجار التى تقوم عليه ، أو تسكن تحت هذا الماء الذى يجرى فيه ، وتسمع احاديث الناس والاشياء وتعيها فتنقلها الى الكتاب والشعراء وتنطق بها السنتهم ، وتجرى بها اقلامهم . ولهذا لست مسرفا فى حب الحديث ، وفى حب الحديث عن هؤلاء الذين لايحبون ان يتحدث الناس عنهم الا بما يريدون لا بما يريد الناس . قالت : من الظواهر التى لا تحتاج ملاحظتها الى دقة ولا الي ذكاء ان مصر مفشية للسر ، قليلة الحرص على الكتمان . انظر الى بيئاتها المختلفة ، فلن ترى لها سرا . أحاديث ساستها وقادتها وادبائها واصحاب الاعمال فيها ذائعة شائعة يعرفها الناس جميعا ويتناقلها الناس جميعا . ومصدر هذا فى أكبر الظن ان طبيعة مصر نفسها صافية واضحة ، مسرفة فى الصفاء والوضوح ، سماؤها صحو دائما ، لايتكاثف فيها الغمام ، ولا يتراكم فيها السحاب ، وارضها مبسوطة هينة لاترتفع فيها الجبال الشاهقة ، ولا تنتثر فيها الكهوف والاغوار ، ولاتنبت فيها الغابات الكثيفة الملتفة ، فامرها كله ظاهر ، وحديثها كله شائع ، وشمسها المشرقة دائما لاتؤتمن على سر مصون . على اننا لم نقل فى حديثنا ذاك شيئا يسوء الادباء أو يغضب أحدا ، فليس من اذاعته بأس وان كنت لا أحب ذلك ، ولا ارتاح اليه ، ولاأخفى عليك انى انما آثرت أن يكون اجتماعنا الليلة عندى لأنى واثقة أن لنا من العزلة ما نحب ، وبأن أحدا لن يستطيع ان يندس لنا ، أو يتسمع علينا . قالت : الا هذه الطير التى تؤوى الى الاغصان اذا اقبل الاصيل ودنا الليل ، والا هذه الجن التى تستظل بالاشجار وتتضاءل احيانا حتى تتخذ لنفسها منازل فى ثنايا العشب وبين أوراق الأزهار . فى هذه الطير ، وفى هذه الجن ، وفيما يحيط بنا من الزهر والشجر من يسمع لنا وينم بما نتساقى من ماء الورد ، وما يجرى بيننا من لغو الحديث ، قالت : وأي بأس بأن يذاع ما يجري بيننا من لغو الحديث ؟ انما يكره الناس جد الحديث ويخافونه ، فاما لغو الحديث فالناس مزدرون له ، أو راغبون فيه . قال : وهل تظنين انا نستطيع ان نأخذ بالجد حين نعرض للحديث عن الأدب والأدباء فى مصر ؟ وأين تجدين الجد فى حياة الادب والادباء ؟ أتجدينه فى هذا الحوار الذى يطول ويطول حتى يثقل ويمل حول ألفاظ وقعت فى كتاب ، أو حول رأي رآه ناقد فى كتاب ، أو حول حديث كان بين كاتبين ، او مناظرة يسيرة كانت بين أديبين ؟ أليس هذا كله دليلا على فراغ البال واحتياج الادباء الى ما يشغلون به انفسهم عن هذه الاحاديث الطوال الثقال التى تضيع الوقت ، وتفني الجهد دون ان تنفع او تفيد ؟ قالت

« البقية على صفحة ٤٠ »

آفة اللغة هذا النحو ...

أذكر أن الطالب الناشيء كان يدخل الأزهر فيجد أول مايقرا من كتب النحو شرح الكفراوى على متن الآجرومية، وهذا الكتاب شديد الكلف بالأعراب، يأخذ به المبتديء أخذا عنيفا قبل أن يعلمه كلمة واحدة من اقسام الكلام ووجوه النحو. يفتحه الصبي المسكين فلا يكاد يقول (بسم الله الرحمن الرحيم) حتى يصبح به الشارح أو المقرر أن انتظر حتى أعرب لك البسملة ! وهنا يسمع لأول مرة بحرف الجر الأصلي والزائد، ويعلم بطريقة حسابية أن له فى البسملة تسعة أوجه نشأت من رفع الرحمن ونصبه وجره، مضروبة فى رفع الرحيم ونصبه وجره، ثم يمضى المعرب فى إعراب هذه الأوجه بالتخريج العجيب والحيلة البارعة حتى تقف قدرته عند وجهين لايجدلها مطلعا ولا مأتى فيمنعهما، وهما جر الرحيم مع رفع الرحمن أو نصبه؛ ثم يخشى بعد ذلك الجهد أن يعبث النسيان الساخر بهذه الدقائق الغالية فيسجلها فى هذين البيتين وهما :

أن ينصب الرحمن أو يرتفعا فالجر فى الرحيم قطعا منعا
وأن يجر فأجز فى الثانى ثلاثة الأوجه خذ بيانى !

يأخذ الطالب هذا البيان على العين والرأس ثم يخطو خطوة فتقع عينه على العنوان الأول في الكتاب وهو (باب الأعراب) ! وهنا يقول له الشارح : قل باب الأعراب بالرفع أو باب الأعراب بالنصب أو باب الأعراب بالجر فلن تعدو وجه الصواب فى أى حالة !! فالرفع على أن (باب) خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هذا باب الأعراب، أو على أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره : باب الأعراب هذا محله، والنصب على أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره : اقرأ باب الاعراب، واما الجر فعلى أنه مجرور بحرف جر محذوف تقديره : أنظر فى باب الاعراب !! ثم يصعد الطالب فى معارج النحو على كتاب من هذا الطراز بعد كتاب، حتى يتسنم ذروته، وليس في ذهنه مذهب صحيح ولا قاعدة سليمة. وماذا تنتظر من مثل هذا الخلط غير أفساد الذوق وأضعاف السليقة، وطبع القرائح على هذا الغرار من التفكير العابث والتقدير الهزيل ؟

جنى هذا النحو الفوضوى على الناشئين فى معاهده فعمى عليهم وجوه الأدب، ثم فتح لهم من الجدل اللفظى والتخريج اللغوى أودية وشعابا يقصرون دون غايتها الطرف. فعندهم كل صواب يمكن أن يخطّأ، وكل خطأ يمكن أن يصوّب، وكل كلام على أى صورة يجب أن يفسر أو يؤول ! اخرق القواعد، واقلب الأوضاع، وانطق اللفظ على أى حركة، واستعمله فى أي معنى، فأنك واجد ولا شك من هؤلاء من يلتمس لك وجها من وجوه (البسملة) السبعة، أو مخرجا من مخارج (باب الأعراب) الثلاثة !

عرفت أيام الطلب شيخا قد ابتلى بهذه الشعوذة، فحشا جسمه بهذا العبث النحوى حتى ليرشحه من جلده، ويرعفه من أنفه، ثم يتكلم فيتعمد اللحن القبيح، فاذا انكر عليه منكر انفجر عن هذا الهوس فذكر لكل خطأ وجها، ولكل وجه علة، ثم يقول فى تفيهق وزهو : (لولا الحذف والتقدير، لفهم النحو الحمير) وسمعت ان شيخا ضعيف البصر ممن يسوغ فى فهمهم كل كلام، قرأ قول الرسول (ص) «المؤمن كيّس فطِن» فصحفها : المؤمن كيس قطن ! وراح يحملها على التشبيه فيقول : معناه أن المؤمن ابيض القلب كالقطن : وزعموا ان شيخا كبيرا كان يفسر كتاب الله وهو لايحفظه، فرأى قوله تعالى: (اذ يبايعونك تحت الشجرة) فقرأها أذ ئبا يعونك ... وكتب فى تعليلها وتأويلها أربع صفحات من القطع الكبير بالحرف الصغير !! .. وحدثوا ان ممتحنا من هذا النمط، كتب فى ورقة طالب راسب : « لايصلح » ثم ظهر لأمر خارج عن ارادته أنه ناجح، فكتب تحت هذه الجملة : «قولى لايصلح، صوابه يصلح ولا زائدة » والاحاديث مستفيضة عمن نكبوا بهذه الدراسة دون أن يكون لهم من المنطق ضابط، ولا من الطبع دليل

* * *

إن ما نجده فى النحو العربى من التناقض والشذوذ وتعدد الأوجه وتباين المذاهب انما هو أثر لاختلاف اللهجات فى القبائل، فقد كان رواة اللغة يرودون البادية ويشافهون الاعراب، فيدونون كلمة من هنا وكلمة من هناك، فاجتمع لهم بذلك المترادفات والاضداد، وتعدد الجموع والصيغ للفظ. واختلاف المنطق فى الكلمة، والنحاة مضطرون الى أن يمطوا قواعدهم حتى تشمل

هذه اللحون، وتستوعب تلك اللغات، فاغرقوا القواعد فى الشواذ، وأفسدوا الاحكام بالاستثناء، حتى ندر أن تستقيم لهم قاعدة، أو يطرد عندهم قياس. وزاد فى هذه البلبلة أن أسرف أعاجم النحاة فى التعليلات الفاسدة، والتقديرات الباردة، منذ نهج لهم ذلك النهج ابن ابى اسحق الحضرمى، فجعلوا النحو ضربا من الرياضة الذهنية، والقضايا الجدلية، التى لايصلها باللغة سبب، ولا يقوم عليها فن ولا أدب.

ليس من شك فى ان دراسة النحو على هذا الشكل تفيد فى بحث اللهجات فى اللغة، ودرس القراءات فى القرآن، ولكن دراسته لضبط اللغة وتقويم اللسان امر مشكوك فيه كل الشك. نحن اليوم وقبل اليوم انما نستعمل لغة واحدة، ونلهج فى الفصيح لهجة واحدة، فلماذا لانجرد من النحو القواعد الثابتة التى تحفظ هذه اللغة، وتقوم تلك اللهجة، وندع ذلك الطم والرم لمؤرخي الادب، وفقهاء اللغة، وطلاب القديم، على الا يطبقوه على الحاضر، ولا يستعملوه فى النقد وانما يلحقونه بتلك اللغات البائدة التى خلق لها وتأثر بها، فيكون هو وهي فى ذمة التاريخ وفى خدمة التاريخ؟

لقد صنعت المدارس المدنية شيئا (١) من ذلك، فنجحت بعض النجاح فى تجريد «نحو» عام يكاد يسير فى وجه واحد، ولذلك لاتجد المتخرجين فيها يتقارعون فى النقد بالنحو القديم، ويقصرون المناظرة على هذا الجدل العقيم. ولكن فريقا ضئيل الشأن من بقايا الثقافة القديمة فى مصر والعراق، لايزالون يظنون انا مجبرون على اخضاع السنتنا واقلامنا لتلك اللهجات البالية، فيقعد بهم تخلف الذهن وضعف الملكة وكلال الذوق، عند هذه البقايا الأثرية ينبشون عنها قبور البلى، ثم ينثرونها كالشوك فى طريق الادباء الموهوبين، ويتبجحون بأن هذا اللغو هو اللغة!!

يقرأون الكتاب القيم للعالم الباحث، أو للاديب المجدد، فيعمون عن خطر البحث في نفسه، ومجهود الباحث فى بحثه، ولا يرون الاحرفا وقع مكان حرف، أو جمعا لم يجدوه فى كتب الصرف!

لانريد أن نسمي الاسماء ولا أن نضرب الامثال، فحسب الشذوذ أن يدل على نفسه، وحسبنا ان نهيب بالعلماء والادباء أن يشذبوا هذه الزوائد من لغتنا لتقوى، وينحوا هذه الطفيليات عن ادبنا لينتعش.

الزيات

(١) تقول (شيئا) لان الكتب المدرسية لايزال فيها امثال الاسم الواقع بعد لاسيما، وتابع المنادى والوجوه الخمسة فى المنادي المضاف الى ياء المتكلم!

رأى فى أوراق الورد

للآنسة عفيفة سيد

قلنا في العدد الحادى عشر فى معرض الرد على الآنسة الفاضلة عفيفة «ان في الادب العربى الحديث طرفة من هذا النوع الذي تريدين «الرسائل الغرامية» هى آية من آيات الفن في دقة الصنعة، ولعلها لاتقل جمالا عن تماثيل «فدياس» وصور «رفائيل» ولكنها كهذه التماثيل وتلك الصور ينقصها شيء واحد هو كل شيء: ذلك هو الروح» اردنا بتلك الطرفة اوراق الورد (وقد كتبناها سهوا رسائل الورد) للاستاذ الرافعى. ثم رجونا من الانسة عفيفة ان تقرأها وتبدى رأيها فيها، فقرأتها ثم بعثت الينا بهذه الرسالة

سيدى الاستاذ

ما كان الأمر يحتاج الى رجاء. «فرسائل الورد» او «اوراق الورد» اسم مشوق يستميل القلب ويستهوى النفس. ومن ذا الذي لا يسرع الى اوراق الورد لتبهج قلبه، وتزيل كربه، وتهذب احساسه، وتغذى خياله؟

غير انى لم اكد أطالع رسالتين من رسائل الورد حتى عرفت سبب الرجاء، وقلت لعل الامر كان يحتاج الي الف رجاء. اذ وجدت ان من العسير علىّ بل من المتعذر أن امضى فى مطالعتها، وكدت ان ابعث اليك برأيى فيها مكتفية بما طالعت، غير أني وجدت من الاسراف ان احكم على الكتاب بقراءة رسالة او رسالتين، فمضيت فى المطالعة والله يعلم كم مرة انقبضت نفسى، وكم مرة اعترانى الملل، حتى زهدنى فى ان ادلي برأيي فيها

ولعلك ياسيدى الاستاذ لو كنت دفعت بى الى الوراء سبعمائة عام مضت لوجدت في «البهاء زهير» صورة صادقة لنفسى، ومرآة جلية لعواطفى وشعورى، بل لذكرنى لفظه الرقيق ومعناه الدقيق رقة طبيعة مصر وعذوبتها، بل لوجدت فى مقطوعاتها الحية مايحملني ان اتخيل أن كاتبها معاصر لنا أكثر من كثير من معاصرينا الموجودين

حاولت ان اقف على الفكرة التى تدور حولها «أوراق الورد»، فلم اوفق، فهى رسائل مفككة لايتصل بعضها ببعض، لاتترجم عن عواطف صحيحة ولا عن شعور صادق.

يعرض علينا الكاتب عواطف مبهمة فيها تكلف وفيها صنعة ، دون أن يبعث فيها شيئاً من شخصيته و ميوله وعواطفه . لا أثر فيها لروح الجماعة أو البيئة التى خضع لها الكاتب . هو متكلف متصنع ، والا لأطلق لشعوره العنان وترك نفسه على سجيتها،فلا يتسامى عن وصف الحياة الاجتماعية، ولا عن الحوادث اليومية،بما يسميه هو حشواً ، لان المترجم الصادق هو من يعنى بالصغيرة قبل الكبيرة فلا يتقيد بقيود لفظية ولا معنوية ولا يضع بيننا وبينه حجابا كثيفا

يسير الكاتب الى غرضه فى المعنى القليل الى كثير من التعقيد اللفظى ، ليخلق منه فلسفة ، فاذا أراد أن يقول ماقاله شوقى :

لا أمس من عمر الزمان ولا غد

جمع الزمان فكان يوم لقاك

يقول فى صفحة ٢٤٥ :

« قد عرفنا ان لنا أعماراً محدودة ، أفلا يجوز ان ساعات الهناء والسعادة انما كانت محدودة لانها اعمار لاعمارنا ؟

فبضعة اشهر من الجفاء أو البعد يكون عمرها هو ساعة اللقاء التى تنفق بعدها ، وسنة كاملة من عمل يكون عمرها يوم سرور

ان كان هذا صحيحا فما اقصر عمرك ياعمرى ! ... »

فها هو ذا شعر شوقى لرقة لفظه وسهولة معناه ، يكاد ان يكون نثراً ، اما نثر « اوراق الورد » فمحتاج الى طول اناة لنعرف قصده وتقف على مرماه .

أنا ياسيدى الاستاذ لم اعرف السر فى توجيهك نظري الى « أوراق الورد » فاذا كان قصدك ان تدفع بالبرهان قولك : ان الفن وحده لايوجد الشعور فهذا الكلام لا يحتاج الى برهان، وانا مؤمنة به كل الايمان. واما اذا كنت تعنى جادا أن تطلعني بقراءتها على جمال في الادب العربى الحديث ، لعله لا يقل جمالا عن تماثيل فدياس، وصور « رفائيل ، فارجو ان يسمح لى سيدى الاستاذ ألا اشاركه هذا الرأى ، فاوراق الورد لاجمال فيها اذ لامعني لها، والمعنى مصدر الروح ، وهو ان حل فى الشىء المادى كونه وناسب بين اجزائه ، وجعلها وحدة لا تنفصم .

إذن لا جمال حيث لا روح ولا وحدة ولا تعبير والمعني مصدرها جميعا

أرجو ان يتفضل سيدى الاستاذ فيدلني على موضع الجمال فيما سانقله اليه بموذجا لما اشتمل عليه الكتاب من رسالة فى العتاب (صفحة ٢٠٧)

« ..... ما هذا ياسيدتى وليس خيط عمرى في ابرتك ... ولاما يتمزق من ايامى تصلحه « ماكينة الخياطة » بقدرتك ، وان كنت انا اقل من (انا) ، فلست انت باكثر من (انت)

« ...فان كان قلبك ياسيدتى شيئا غير القلوب. فانحن شيئا غير الناس ، وان كنت هندسة وحدها فى بناء الحب ، فما خلقت اعمارنا فى هندستك للقياس ، وهي قلبك خلق « مربعا » افلا يسعنا « ضلع » من اضلاعه ؟ أو مدورا افلا يمسكنا محيطه فى نقطة من انخفاضه او ارتفاعه ؟ وهبيه « مثلثا » فاجعلينا منه بقية فى « الزاوية » ، أو « مستطيلا » فدعينا نمتد معه ولو الى ناحية ... ما بال كتابنا يمضى سؤالا من القلب فيبقى عندك بلا « جواب » ، ونبنيه نحن على حركة قلوبنا فتجعلينه انت مبنيا على « السكون » ثم لا محل له من « الاعراب » ... الخ »

أما الصور والتماثيل التي تفوز منا باعجاب الجمال ، فيكاد أن يكون لها روح ، أو لها روح بالفعل من معانيها التى حدت بعبقرية المثال أو المصور الى تصوير الافكار الجياشة بمخيلته ، فهى معبرة عن الرجاء ، أو الحب ، أو الحكمة ، أو الخوف ، أو الوداعة ، او الطهارة .

وسقراط كان يقول عن خبرة انه يجب على المثال ان يصور حالة الذهن فى تمثاله ، وكانت تماثيل الاغريق لها اثر كبير فى تقرير مزاج الامة .

هذا رأيي فى « أوراق الورد » ، وكم أحب أن أقرأ كلمة الاستاذ الفاصلة ..... ؟

والرسالة تترك الكلمة للاستاذ السيد مصطفى صادق الرافعى

اعتذار

جاءنا من الآنسة الفاضلة ناهد محمد فهمى رد شديد على زميلتنا (النهضة الفكرية) فرأينا الاعتذار الى الآنسة من حفظ المقالة ، أسهل علينا من فتح هذا الباب فى الرسالة .

دودٌ على عُود

للدكتور محمد عوض محمد

ها أنت ذا ، أيها الصديق ، قد استويت ومن معك على ذات ألواح ودُسر . وقد أذنت ساعة الرحيل ، ولم يبق بد من الفراق ، فلم نجد مناصاً من النزول الى البر ، تاركيك على ظهرها ، غير آسف لفراقنا ، ولا مستشعر لوعة على تركنا . . وانطلق الصفير والزئير يشقان الفضاء ، فاذا السلالم قد رفعت ، والاهلاب قد جذبت من قاع البحر . وإذا سفينتك آخذة فى الابتعاد على مهل كأنها لاتريد أن تؤلمنا ببعدكم مرة واحدة ؛ وإذا مناديلنا تخرج من جيوبنا بيضاء ناصعة ، وقد حملتها الايدي أعلاماً تهزها هزاً ؛ و بين الجوانح قلوب تخفق خفقان الأعلام ، ولكن أعينكم لا تراها .

وها أنتم أولاء وقوف بأفريز السفينة ، تخفق مناديلكم بايديكم خفقانا فاتراً ، لم ينبعث من قلب حزين ، ولا نفس آسفة ؛ وعلى ثغوركم ابتسامة تعبثُ في تأويلها وتفسيرها ؛ وأحسبها ابتسامة الرثاء والاشفاق : إنكم ترثون لنا ، معشر المقيمين ، وتنظرون الينا كأننا من نوع آخر غريب عنكم ، نوع يعيش عيشة الاشجار : تنشأ حيث تغرس ، ثم تنمو عليها الغصون والاوراق ، والزهر والثمر ؛ وهى باقية فى مكانها لاتبرح : وكلما تقادم بها العهد ازدادت تشبثاً بمنبتها ، وتعلقا بمغرسها ، لاتعرف ما ركوب البحار ، ولا لذة التنقل والاسفار…

أجل كنتم تنظرون الينا نظرة اشفاق ، وكأنكم بعض الآلهة تلقي نظرة من السماء على ما دونها من الكائنات … وفى تلك الساعة رأيت دموعا كثيرة تنهمل ، ولكنها كانت تتساقط من عيون المودعين ، لا الراحلين . . فياويل الشجى من الخلى ! وياويل المجهود من المجدود !

* * *

وعجبت لك أيها الصديق ، كيف ترحل عنا باسم الثغر ، قرير العين مثلج الصدر . وأنت تعلم أنك راحل عنا أشهرا طوالا ، لاترانا فيها ولا نراك ، أليس للود القديم حرمة ، ولا للحب لمؤلف رعاية ؟ وهذا الوطن العزيز الذي أنبتك ثراه وغذاك هواؤه ، وأظلك دوحه ، وأنضجتك شمسه ، مالك لاتحس لفراقه جزعا ولا أسفا ؟ بل كأنك بهذا الفراق جد مغتبط ، ولهذا الرحيل مشتاق متلهف ! لاتحاول الانكار ! ان سرورك بهذا البعاد أكبر من أن يخفيه التكلف ، وما أنت ممن يحسنون تصنع الأسف ، بل إن بك شوقا شديداً باديا لمغادرة هذه الديار ، وكأنك لا تحيا بيننا تلك الشهور من كل عام ، إلا لكى تقضى هذه الأشهر بعيداً عنا

فياعجبا ! أى شيء هذا السم الزعاف الذى يملأ هواء بلادنا ، ويحملنا على أن نجدّ في البعد عنها ، ويُنفّر الابن البار من أمه البرّة ؟ أهو هواؤها الحار ، أم مجتمعها الفاتر ، أم مايحيق بها من ظلم وجحود ، ومن حَرَجٍ وضيق ؟

لقد أخذت سفينتك تبتعد ، ولم تلبث أن اختفت عن الابصار وأضحت كأمل البائس لاتزداد على المدى إلا بعداً . وكأني بك واقفاً على ظهرها ، تتنفس نفَسا عميقا ، لكى تخرج من رئتيك ماقد ثوى فيهما من هواء ؛ كأنك لا تريد أن تحتفظ حتى بهذا القدر القليل من الذكرى . . . بل تريد أن تأخذ عدتك لحياة جديدة ، وأيام سعيدة . فما أخلقك ألا تُبقى للشقاء الغابر فى نفسك أثراً !

* * *

لكن أمامك فى السفينة أيامٌ لا أرانى غابطك عليها ، بين أناس قد اتخذوا الدعة شعاراً ، يصبحون كسالى ، و يمسون كسالى ، لايعرفون جِدًّا ولا دأبا ، أقصى همهم أكلة لذيذة يصيبونها ! أو رقدة طويلة يستطيبونها ، وما عرفت الناس أدنى إلى الأنعام في مكان منهم على ظهر سفينة . . . قصاري جهد كل منكم أن يقتل الوقت ، وأن يتخذ لذلك سبلا شتى : فمنكم العاكف على الشراب ، لايشفى غليله الاسراف فيه . ومنكم المكب على الورق يتسلي باتلاف القليل من دراهمه أو الكثير . وبعضكم يلتمس اللهو فى ألعاب تافهة ، أو فى تقليب صفحات كتاب هزيل . إذ لا يستطيع أن يجشم نفسه مشقة أو جهداً .

ولقد تقدم العالم فى طريق المادة ، وجاء الاختراع بسفن ذات قوة وجسامة ، ولكن الرّكبَ مابرحوا اليوم كما كانوا فى قديم الزمن : دود على عود !

* * *

وأحسبك تتوهم أن سيتاح لك وانت بالسفينة ان تلتقى باعظم الرجال ، واجمل النساء ، ولست ادري على أى عَمدٍ قام فى نفسك مثل هذا الرجاء ؟ وهو لعمرك جدير بما يصيبه من

الخيبة المرة بعد المرة . انك تظن أن العظمة والجمال فى العالم من الكثرة بحيث يجوز أن يكون لكل سفينة تشق البحار نصيب منهما ، وخيل اليك أن السفينة خير دار تلقاهما فيها ، حيث لامفر لهما منك . وأن المجال الضيق كفيل بان يجعل الناس بعضهم مقبلا على بعض ، والوقت طويل مديد ، لابد للناس أن يتعاونوا على قطعه بالحديث والسمر : فالفرصة اذن مؤاتية — فيما كنت تزعم — لأن تنعم نفسك بحديث العظمة ومرأى الجمال.

وما اشد ألمك حين ترى نفسك بين أناس ككل الناس ، او اتفه من كل الناس . وان المجال الضيق قد حال بينك وبين الهرب منهم . والوقت الطويل الفسيح قد حباك الفرصة اللازمة لأن تعجب كيف استطاع بنو الانسان ان يشتملوا على كل هذه التفاهة والبلاهة .

لكن، صدقنى ان الذنب ذنبك انت اذ تركت نفسك يحلق بها الامل الكاذب . فليست ام الدنيا ولودا للعظمة والجمال بالدرجة التى صورها لك الوهم . وما جل بنيها لو فتشت الا الطغام . وليس بدع ان خلت سفينتك مما كنت تتمناه ، ثم نظرت حولك فلم تجد على ظهرها سوى دود على عود

* * *

ولقد تشرق عليكم الشمس صبحا، وملؤها الروعة والبهاء، فتضرج وجنات المشرق بالنجيع ، ثم تسكب على صفحة الماء نضاراً وسحراً ، وأنتم فى أسرّتكم الضيقة القلقة راقدون ، يحاول كل منكم النعاس وسط دمدمة الآلات ، وصرير الأبواب والجدران ؛ فلا تصيبون من النوم سوي شيء غريب ، ليس بالنوم الهادىء ، ولا باليقظة أو السهاد ، بل هو أشبه بغفلة المخدّرين ، تتخللها إفاقات قصيرة المدى . . . وأخيراً تنهضون من رقادكم المضطرب ، ويقبل بعضكم علي بعض تتثاءبون ، وتتحدثون أتفه الحديث .

وعند المساء تميل الشمس إلى الغروب ، وقد أحاطت بها السحب ، طبقات بعضها فوق بعض ، وهي تنحدر وسطها فى شيء من الحيرة ، كأنما تلتمس بينها طريقها إلي المغرب . تارة تحتجب وراء سحابة قاتمة حمراء ، وطوراً تستتر وراء أخرى استتاراً جزئياً لايكاد يخفيها ، كأنها الحسناء فى الغلالة ، وتارة تنحسر السحب عنها تماماً ، فتبدو للعين كاملة ، لكنها ضعيفة لاتبهر البصر ، وكأن سير النهار قد أنهك قواها وأدال منها . فبات من السهل عليك أن تقف أمامها ، محدقا فى محياها آمنا ، وهى كلما ازدادت ميلا إلى المغيب ازدادت ضعفاً وسقما . . . لكنها استطاعت أن تملأ السماء بشعاع أحمر قاني ، ونشرته أيضاً على صفحة الماء ؛ وقد اختلطت هذه الألوان كلها بعضها ببعض ، فكان منها صور تعجز الوصف . وأنت تذكر أيها الصديق ، أننا قد اتفقنا — وقلما نتفق — علي أن هذا المنظر : الشمس الغاربة وسط السحاب المنشور ، فوق صفحات اليم ، هو أبدع شيء فى الطبيعة كلها !

وما اخالك إلا آلما أشد الألم ، حين تنظر إلى من معك من أهل السفينة ، تحاول أن تتحدث اليهم بما يبعثه هذا المنظر فى نفسك من إحساس وإجلال . . وفى تلك اللحظة يؤذن مؤذن العشاء ، فاذا هم يغادرونك فى شعرك وسحرك ، ويتسللون الى حجرة الطعام ، راغبين عن لذة لايعقلونها إلى لذة يفهمونها ويستمرئونها . . . وإن الصخور الصماء لتحس من معاني ذلك الغروب البديع أكثر مما تحسه أفئدة أصحابك هؤلاء . وماهم ، لعمرك ، سوى: دود على عود .

* * *

ولقد يكون البحر لكم أول الأمر صديقاً ، وبكم رفيقا . ولكنه بعد ذلك قد ضاق بكم ذرعا ، فأراد أن يريكم أنه مثلكم يابنى آدم ، ليس ذا وجه واحد . بل إن له أوجها كثيرة ، وقد أراكم من قبل صفحة فيروزية زرقاء ، ووجها هادئا ، أملس ناعما . كأنه سهل فسيح من مرمر أزرق . وكانت جاريتكم تجري عليه فى اعتدال واتزان ، لاتهتز ولا تميل وكلكم فرح بذلك مسرور . تحسبون أن الوقت قد طاب ، وأنكم بنجوة من العذاب . ثم رأى البحر أن يريكم وجها من أوجهه الأخرى . فعبس وتجهم ، وثار ومار ، وتطاير من وجهه الشرار . وانقلب صفاؤه إلى كدر ، وهدوؤه إلى انفعال ، وحلمه إلى جهل ، ورزانته إلى رعونة ، وعلا موجه من كل جانب ، ووثب رذاذه على باخرتكم ، ودخل إلى نوافذ حجراتكم ، وجعلت السفينة تمايل من اليمين إلى اليسار ، ثم من اليسار إلى اليمين ، ومن الخلف إلى الأمام ، ثم من الأمام إلى الخلف ، سكرى من غير سكر ، صرعى من غير صرع .

ولم تك إلا لحظة حتى انقلب اطمئنانكم إلى اضطراب ، وامتلأت نفوسكم جزعا وقلوبكم هلعا . وانصرفتم عن الطعام والشراب ، وعن اللعب والحديث ، واستحالت رؤوسكم إلى قطعة من صداع وأوجاع ، وضعفت أرجلكم عن حمل أجسامكم ، فارتميتم على سرركم ، وأسلمتم أمركم إلى بارئكم .

فياعجبا ! لقد أمعن الانسان فى الابداع والاختراع ، واستحدث كل هذه السفن الهائلة ذات السرعة والفخامة . . . ثم لايزال ركبها اليوم كما كانوا فى عهد عمرو وعمر : دود على عود

* * *

تلك أيامكم على ظهرها أيها الصديق . وإنى لأرجو لك بعدها سفراً هينا ورحلة ميمونة، وما أجدرك ألا تجعلها كلها عبثا ولعبا ؟

توفيق الحكيم

للدكتور حلمى بهجت بدوى

لشبابنا المثقف شكوى تواضع على صيغتها على اختلاف ألوان ثقافته ، وتلك الشكوى هى نقص الغـذاء الفكرى فى الحياة المصرية . وقد كان لتبين وجه هذا النقص آثار بغيضة ، فهو أولاً منتشر فى النفس فى مزيج من السأم والتشاؤم ، وهو على أى حال باعث فى العزيمة خوراً وفى الهمة فتورا ، وهو بعد ذلك — وهناوجه السوء — دافع الى المغالاة فى التقدير . إذ كثيراً مايصيب الصيغة الصحيحة هوى من النفس فتظـل فى عرف الناس صادقة على مدى الزمن وان تساقط بعد ذلك وجه الصواب فيها .

وكان من أثر هذا النقص أن نظر الشباب إلى الجانب الفكري من الحياة المصرية فتخيله مستنقعا آسناً ، فانصرف عنه اما إلى الحياة المادية وما فيها من لهو وعبث ، واما إلي مصدر ثقافته مستعيناً بالكتب والمجلات الأجنبية .

فلم يكن غريباً بعد ذلك أنه كلما بدا وميض من النور فى حياتنا الفكرية لم يلق إلا أعيناً مغمضة ، وإذا أينع زهر صغير صادف برداً فذبل والتوى .

أزمة الغذاء الفكرى شر اذن ، إنما شر منها روح التشاؤم الذى فشا فى هذا الشباب المثقف ، وكلمة السر التى جرت على الألسنة فى سهولة عجيبة من أنه لاسبيل إلي تلمس هذا النوع من الغذاء فى الانتاج المصري والتي تنتهى إلى قتل العناصر السليمة التى قد تنهض لتغذية حياتنا الفكرية .

وإذا أنا ذكرت الانتاج المصرى فانى أرسل هذه الكلمة على معنى خاص . فانا أستبعد الترجمة لأنها ليست إلا وسيلة لتغذية من كانت ثقافتهم عربية محضة ، أو لتهيئة الاتصال بين ثقافتين مختلفتين . وأنا أستبعد كذلك النقد لكى أستبقي بعد ذلك صورة واحدة ، هى الخلق Création

وإذا أنا استبعدت النقد فليس ذلك لأنني أخرجه عن معنى الانتاج ، أو لأننى أتمثله ضعيف الشأن فى تموينا بالغذاء الفكرى ، وانما استبعده لأنه مرهون بالخلق ومن أجـل ذلك كان النقد الذى أينعت أثماره فى مصر هو ذلك النقد للانتاج الأوربى وللانتاج العربي القديم . أو ذلك النوع من النظرات العامة التى تتلمس أوجه النقص والكمال فيما لدينا من انتاج لترسم صورته الحقيقية جميلة كانت أو قبيحة .

* * *

وقد ظهر أخيراً كتاب أهل الكهف لتوفيق الحكيم وهو من نوع الانتاج الذى أقصده . ولا أذكر كتاباً قابله النقد فى مصر بعناية وتقدير بمثل ماقوبل به هذا الكتاب . ولست أتعرض هنا لنقده بعد أن وفاه حقه الدكتور طه حسين والأساتذة مصطفى عبد الرازق والمازنى وهيكل بك ومحمد على حماد وغـيرهم من فضلاء الكتاب .

ذلك أن مؤلف أهل الكهف صديق وربما كان تقدمى لنقد كتابه — والأمر كذلك — مثيراً لريبة مشروعة . وهل هناك من شك فى أننى سوف أحيط كتابتى باطار من العطف الذى تبرره شريعة الصداقة ، أوليست الصداقة فى بعض وجوهها نوعا من التعاون الخالص وضرباً من التنابذ فى سبيل النجاح !

وإنما حلا لى أن أكتب عن تاريخ حياة هذا الكتاب . وقد قدرت فى تلك الصداقة التى كانت تلقى الريبـة على نقده تزكية لاغبار عليها للكتابة عن تاريخ حياته ، وما تاريخ حياته إلا وجه من تاريخ حياة مؤلفه ، وقطعة من شخصيته لعلى أجدر الناس بالكتابة عنهما .

* * *

منذ عشر سنوات خلت كان توفيق الحكيم طالباً فى مدرسة الحقوق ومؤلفا مسرحياً ملحقاً بمسرح حديقـة الأزبكية ، وقد تقدم إلى هذا المسرح بروايات عدة بعضها مؤلف وبعضها مقتبس عن المؤلفات الأوربية . وقد قرأت هذه الروايات فى ذلك الوقت وكنت عندئذ هاوياً لكل مايتعلق بالمسرح . وكان من بين هذه الروايات رواية مؤلفة عنوانها «المرأة الجديدة» وموضوعها مشكلة المرأة فى الجيل الحالى . وقد لاقت هذه الرواية من النجاح مالاقت ، وقد يكون دون ماتستحق وقد لايكون ، وقد لايزال توفيق الحكيم ينظر إلى رواياته الأولى بعين لا تخلو من الحنو والعطف ، وقد يكون هذا الشعور مفهوماً من جانبه ، أوليست أعمال الشخص كأطفاله اذا حظى السليم منها بالحب اختص العاطل منها بالعطف والحنان !

وكنت أنظر حينئذ إلى توفيق الحكيم بعين الأمل ، ذلك انني كنت أراه منصرفا إلى فنه تمام الانصراف ، فى إخلاص وإيمان ، شاعراً بأن هذا الفن يجرى فى دمه ، وهو لم يشعر بذلك شابا فقط . وإنما هو هم احتواه صبياً فراهقا . فهو لايعيش إلا

من أجله ، ولا يفكر إلا فيه . وإذا اطمأن اليك مرة فحدثك عنه أدهشك ذلك الحماس الذى ينبعث منه ، وتلك النشوة التى يغرق فيها إلي آذانه فتأخذ بلبك وبلبه .

من أجل ذلك كنت أنظر اليه بعين الأمل ، ولكن لم يكن أملى فيه محدداً بل كان أملا غامضاً لعل مصدره ما فى الشباب من صحة وثورة وتفاؤل ، وعلى أي حال لم أكن آمل فى نجاحه الا من ناحية الكتابة الفكهة ، وقد بعث هذا فى نفسى روايته « المرأة الجديدة » ، إذ كتبها وهو يقصد غير الجد فاذا به أصاب دعابة لذيذة ، وكنت ألمح في دعابته نوعا من العمق لم أكن متيقناً منه ، وإنما كنت أحس به وأنا بين المصدق والمكذب .

* * *

إلى ان سافرنا منذ ثمانى سنوات إلى باريس بعد انتهائنا من دراسة الليسانس ، وكان المقصود من سفرنا دراسة دكتوراه الحقوق

وبهرنا عند وصولنا ازدهار الفن والادب فى باريس ، وظهر لنا جلياً ناطقاً محدداً ذلك الجانب الروحي والفكرى من الحياة الذى حرمنا من نعيمه فى مصر ، كيف أينعت أزهاره فى هذا البلد ، كيف كان دانى القطوف ، عجيب الالوان ، شهى الرائحة . ويدرك من يتذوق هذا الجانب من الحياة كيف يحلو الرى بعد هذا الظمأ والامتلاء بعد طول الطوى . فهل كان من المعقول أن يعيش توفيق الحكيم فى باريس وهى مهبط الفن والادب ، وأن يمر بهذا الفن والادب وفى دمه ذلك الحماس ، وفى روحه ذلك الخلوص والانصراف فلا ينهل من الفن والادب إلا بقدر ماينهل الناس لمجرد الغذاء الفكرى ؟

ما مضت بضعة أشهر على إقامتنا فى باريس حتي بدأت أنظر اليه بعين ملؤها الاحترام . . . الاحترام الغامض أيضا .

ذلك أنى رأيته وقد انصرف عن اللهو وعما يحصل كل شاب من باريس عادة ، عن باريس اللاهية ، عن باريس الضاحكة الماجنة ؛ انصرف عن كل هذا بنفس آمنة مطمئنة . وإذا به وأحياء باريس عشرون حيا يبدأ أولها في مركز المدينة وينتهى آخرها بأطرافها يسكن الحي العشرين ، وما أظن مصريا قد هبطت قدمه إلى هـذا الحي غير توفيق ، ومن كان يفكر فى زيارته من أصدقائه .

* * *

قرأ كتاب تين Taine عن فلسفة الفن فانبثق له من هـذا الكتاب قبس من نور ، فتعلق به وقد شعر أنه باستهوائه اياه لابد واصل الى استكمال تثقيفه ، والى ادراك مكنونات الفن أسراره ومنعطفاته . وانكب على دراسته انكبابا . والكتاب يتحدث عن فن التصوير والنحت أكثر مما يتحدث عن غيرها ، فهو ذاهب اذن لزيارة متحف اللوفر فى زيارات دورية ، وقد أصبح له هذا المتحف بمثابة الجامعة للطالب . وهو مصطحب هذا الكتاب كصديق مرشد . وهو متثبت من مطابقة التدليل البديع الذى يجرى به قلم تين عن كيفية نشوء فن ما ، في بيئة ما ، على تلك المجموعة التى لاتقدر من كنوز الصور فى متحف اللوفر . وهو قد قرأ الكتاب واستوعبه استيعابا وهضمه هضما ، ثم شاهد كيف استخلص تين حياة هذه القطع الفنية من جنس الفنان والوسط الذى أحاط به والوقت الذى ظهرت فيه .

ولكن أنى له أن يفهم فن التصوير فهما واعيا ، وثقافتنا المصرية فى هذا الشأن معروفة ! ان كتاب تين ليس الا خلاصة محاضرات كان يلقيها على طلبة مدرسة الفنون الجميلة فى باريس ، فهو يتقدم به الى أناس على قدر متقدم من الثقافة الفنية ، وقد شعر توفيق بعد قراءته للكتاب بالنور يبهره ، فادرك أن هناك جمالا لم يكن يحس بوجوده قبل ذلك وعالما آخر تراءى له ولكن فى اطار من السحب والغيوم . وأحس فى الوقت نفسه أنه لم يدرك كنه هذا الجمال بعد ولم يدخل هذا العالم الجديد .

وكان أن عرضت له فرصة يتعجل بها سد هذا النقص الذى كان يقض مضجعه ، فلم يتردد فى التعلق باهدابها ، فهو قد تعرف فى ذات يوم الى شاعر فرنسى أخنى عليه الفن والادب ، ولعله البقية الباقية من جماعة البارناسيين Parnassiens من مذاهب الشعر ، فرأى فيه توفيق رجلا مثقفا ثقافة واسعة ، ذا مكانة فى الأدب والشعر ، وان جار الزمان عليه وعلى مذهبه . فجعل يمد هذا الشاعر البائس باعانة مالية نظير استعانته به فى فهم أسرار اللوفر ومتحف رودان والمكتبة الاهلية .

ثم انكب على القراءة انكبابا ، ولكن الانتاج الاوربى هائل فيه الغث وفيه السمين ، والى جانب الانتاج الحديث يوجد الكلاسيك وهو لايقل هولا ، والوقت من ذهب ، لابد اذن من ان يختار مايقرأه من بين هذا كله ، وهو شاعر بالمراحل الواسعة التى لابد له من قطعها ليستعيض عما ضيعه من ايام شبابه فى قراءات كان يتخبط فيها دون هدى او مرشد ، وهو يستعين اذن بصاحبه الفرنسى فى هذا الاختيار ، وهو يستمع اليه فى دروس خاصة منظمة ، جعل صاحبه يعايرها له كما يعاير الدواء للمريض ، واذا به الآن قوى البنية بعد هذا الهزال الطويل ، عبل الذراعين بعد هذا الضعف والتهالك .

وهو لايكتفى بعد ذلك بالتهام الكتب واستيعابها ، وإنما هو

يجعل من قراءاته اداة للتأمل والتفكير . فهو يركن الى الوحدة فى غالب أيامه يهضم فيها ما قرأ ، وهو يجلس فى قهوة نائية وقد فتح امامه كتاباً ذراً للرماد فى العيون ، ثم يظل يسبح فى بحر خياله وهو مغتبط بهذه الوحدة كبير بها ، وكانه قد أدرك قول ابسن : « ان الرجل الوحيد المنفرد هو الرجل القوى » .

وكنت دائماً أتلق ثمرة ذلك التأمل الطويل ، فهو يغيب عنى اسبوعين او ثلاثة ثم يزورنى فاجلس اليه ساعات متوالية ، لا ينقطع فيها حديثه ، وهو دون شك قد اختار موضوع هذا الحديث قبل حضوره . ودون شك كان هذا الموضوع شاغله الوحيد في هذه الأسابيع الماضية ، وإذا بى أمام محاضرة طويلة عريضة ... متشعبة ، ولكنها مبوبة تبويبا كاملا ، مرتبة ترتيباً بديعاً . وإذا لها خاتمة تلم بأغراضه ، وإذا بى غارق فى نشوة صافية ، وإذا أنا مفكر فى هذا الموضوع وذاك الحديث ، لا فى أثناء انصاتي اليه فقط بل بعد انصرافه عنى أيضاً .

أنصرف فى حين ما إلى قراءة ما كتب عن قدماء المصريين وعن روحهم العميق ، وإذا هو شاعر بمصريته العريقة كيف هي تتمشى فى دمه ، وإذا هو محدثك عن هذا الروح فى فخر وإدراك لا فى مجرد زهو ونعرة ، وإذا أنت يبهرك هذا الافضاء ويتملكك نوع من الحماس ، وتتكشف لديك آفاق جديدة ، وتتحلل فى ذهنك ألغاز كنت تحار فى تعليلها أو كنت تعللها تعليلا غامضاً ، وإذا الأمل الذي كان يدب فى نفسك دبيباً مبهماً فى مستقبل مصر ، وفى روح مصر قد تحدد لديك تحديداً كاملا ، لأنك تشاهد النور بعد أن حجبه عنك ستار ، وتلمس الحقيقة بعد ان كانت وراء حجاب ، وتشعر بما فى روح مصر من عبقرية خاصة ، بعد أن أدركت أسبابها فلم يصعب بعد ذلك أن تأمل فيما تؤدى اليه من ثمرات .

وهو لم ينس المسرح — فنه العزيز عليه — فى وسط هذا كله ، فهو يشاهد التمثيل من الكوميدى إلى الأوديون إلى مسارح البولفار إلى مسارح الطليعة Avant Garde ، لا يدركه ملل ولا سأم ، وهو لا يذهب لمجرد اللذة الفكرية ، بل أيضا للدرس والوعي . وهل يمكن أن يكون الأمر غير ذلك وتلك النار المقدسة تنفخ فى صدره و توطد من عزمه لا تدركها هوادة ولا خمود !

ويدهشك بعد هذا أنه فى يوم ما منصرف عن هذا كله ، عن قراءاته وعن مسارحه ، عن اللوفر وروردان وبقية المتاحف ، وإذا به يشغله شيء واحد : الموسيقى ، ماذا ؟ توفيق الحكيم الذى كان يكاد يشترك فى تلحين رواياته الموسيقية فى مصر ، توفيق الحكيم الذى كان مولعاً بالموسيقى الشرقية ، غارقا وراء أسرارها يستمع الآن الى الموسيقى الغربية ؟

لقد أدرك معنى ، أنها إحدى الفنون السبعة ، فهو الآن منكب على دراستها انكباباً ، ولا بأس أن يستعين با صدقائه الفرنسيين على فهمها ، وهو منصرف الى الأوبرا والأوبرا كوميك والى صالات الموسيقى السمفونية ، ولا بأس من أن يذهب الى الأوبرا ولو لم يقتدر الا على أعلى التياترو ، ولا بأس من أن يتسلل بلباسه الغريب المتواضع على درج أوبرا باريس الفخمة ، ومن بين أزياء المساء الفاخرة ولألاء الجواهر الثمينة !

واذا به يتدرج كالطالب فى المدرسة ، فهو معجب أولا بسان سانس وبيزيه وموسيقاهما ذات النغم الشرقى ، ثم هو منتقل بعد ذلك الى الاعجاب ببتهوفن وموسيقاه الرومانتيكية ، وهو بعد ذلك مشيد بذكر فاجنر وموسيقاه القوية ، وهو أخيراً يستمع الى موسيقى استرافسكى وغيره من المحدثين .

سأله أخيراً المكاتب الفنى لأحدى الجرائد المصرية عما أوحي اليه بأهل الكهف ، فكاد ينطلق لسانه باسم بيتهوفن ، وقد قص علىّ هذه الحادثة فلم أملك نفسى من الابتسام .

— ولماذا لم ينطلق لسانك ؟

فكان رده الذي كنت أتوقعه والذي من أجله ابتسمت :

— يضحكون منى !

وهو فى وسط هذا التموين الهائل الذي كان يمون نفسه به أخذ — ومن ساعة متقدمة — يحاول الانتاج ، فجعل يزاول الكتابة بالفرنسية ، فكتب قطعاً من الحوار وجعل يعرضها على بعض أصدقائه الفرنسيين ، ولم يثن عزمه عن الكتابة المامه الابتدائى بالفرنسية ، فهو مثابر مجد على رغم ذلك ، وهو فى النهاية قد عثر على صيغته ، واذا بأصدقائه الفرنسيين يشهدون له بأنه فى توجيه الحوار واسع الحيلة ، واذا بعضهم يذكر عند قراءته لتوفيق بورثوريس الكاتب الفرنسى الشهير وحواره المقتضب المتماسك .

* * *

وكنت أراقب هذا النماء عن قرب مغتبطا به ، سعيداً بمشاهدتى هذه الثمرة كيف غرست ، ثم كيف نمت ، ثم كيف ترعرعت وأينعت ، ولم ينشأ شعورى بهذه السعادة عند ما نشر كتاب أهل الكهف ، وعند ما استقبله النقد هذا الاستقبال العظيم ، وانما هو قد نشأ من زمن بعيد ! عند ماقرأت « اهل الكهف » مخطوطة منذ ثلاث سنوات قبل أن تتخاطفها أيدى المدرسة الحديثة ، بل عندما قرأت « شهر زاد » مخطوطة منذ أربع سنوات ، لما ارسلها إلى توفيق فى

باريس بعد عودته الى مصر ولما حملتها راكضا الي الدكتور ماردروس (وهو اديب فرنسي ترجم الف ليلة وليلة الى اللغة الفرنسية ، وزوج مدام لوس دلارو ماردروس الكاتبة الفرنسية المعروفة) ليقرأها وليري من أى زاوية نظر مؤلف مصرى الى قصص ألف ليلة وليلة .

بل شعرت بذلك منذ خمس سنوات عند ما كنت أقرأ أولا بأول الصفحات الأولى من رواية « عودة الروح » عند ما كان مؤلفها يحاول ترجمتها الى اللغة الفرنسية .

عند ذلك كله تجدد أملي فيه بعد أن كان غامضا ، وتبدد ذلك التشاؤم الذي كنت أنظر به الي جونا الفكرى ، وأدركت ان لدينا مؤلفا نفاخر به المؤلفين الأوربيين نقرأه فى لذة واعجاب ، اعجاب بهذا المنظار الخاص الذى ينظر به الى الأشخاص والأشياء والحوادث فيكتشف فيها نواحى فذة .

نعم . فقد تمر أمامنا الحادثة لانفكر فى أن نعلق عليها اهمية خاصة . . ولكنها تستوقفه فيناقشك فيها . ويبدأ يصور لك فيها تصويرا غريبا ، فاذا هى امتدت ، واذا هى ذات جسم وكيان ، واذا بها نواح من الاهمية بمكان ، واذا أنت دهش بعد ذلك كيف مرت عليك ولم تلحظ فيها كل ذلك .

كنت أتحدث مرة الى أحد أصدقائنا عن روايات توفيق الحكيم ، وتسلسل الحديث الى أن ذكرت لمحدثى أن توفيقا قد كتب رواية اسمها « الخروج من الجنة » ، فكان رده علىّ :

ـــ وطبعاً شخصيات الرواية ثلاث : آدم وحواء وابليس !

فلم أتمالك من الابتسام ، ذلك أن عنوان الرواية ليس الا رمزا وأن أشخاص الرواية عصريون فليسوا آدم وحواء ، وانما هم محمود واقبال وغيرهما من أبناء آدم وحواء .

وقد ابتسمت لقول صاحبي لأنه لفظه فى اطمئنان عجيب ، وسر اطمئنانه أنه قد قرأ « أهل الكهف » ورأى كيف استخلص مؤلفها تلك القطعة الفلسفية من القصة التى لايجهلها مصرى وقرأ « شهر زاد » فرأى ثمرة التأمل الذى اوحت به قراءة الف ليلة وليلة الى صديقنا توفيق ، فاذا هو كتب رواية بعنوان « الخروج من الجنــــة » فهو لاشك قد عالج خروج آدم وحواء لأن هذه الحادثة قد استوقفته ، ولابد انه قد نظر اليها من زاويته الخاصة قصها رواية مسرحية !

خرج صاحبنا من مجرد عنوان الرواية ومن ان مؤلفها توفيق الحكيم بهذه النتيجة التى يراها طبيعية ، وهو حريص على ان يكون استنباطه لتلك النتيجة من تلقاء نفسه ، فهو لايسأل عن اشخاص الرواية وانما هو يبادر بذكرهم من تلقاء نفسه ، شأن من فهم روح مؤلف أهل الكهف !

* * *

بهذه الموهبة الفذة وبهذه الثقافة الشاملة وهذا المجهود الجبار يتميز توفيق الحكيم ، فهو قد أدرك أن الأدب ليس مجرد سليقة نطلقها فتنطلق ، أو الهاما يوحى الينا به فنرسله على طبيعته ، وانما هو الى جانب ذلك وقبل ذلك علم ودراسة ، لابد فيهما من المثابرة على القراءة ، والانكباب على المذاكرة ، والالمام بجميع نواحي الفنون ، والتأمل فى كل مانقرأ ونشاهد .

وكتاب أهــــل الكهف الذى لاقى مالاقاه من نجاح لدى النقد فى مصر ، والذى لاأشك فى أنه سوف يستقبل استقبالا عظيما لدى النقاد الأوربيين اذا ما ترجم اليهم ، هــذا الكتاب اذن لم يكن ثمرة مصادفة ، لم يكن زهرة صغيرة أينعت فى المستنقع المصري وانما هو دوحة هائلة غرسها غارس ثم تعهدها بالصيانة والتهذيب

* * *

وبعد ، فانى أدرك أن مقالى هذا قد يرسم على الشفاه ابتسامة ذات مغزى !! « هو صديق يقوم بالدعاية لصديقه » .

ولأمر ما ، يهمني أن أرفع هذا الخطأ المحتمل ، فان مؤلف « أهل الكهف » وكتابه ليسا فى حاجة الي دعاية بعد أن أجمع النقاد على تقدير الكتاب .

وانما حاولت ان أرسم صورة لتاريخ حياة الكتاب بأن قدمت صورة من تاريخ حياة مؤلفه ، أظهر بها جانباً هيأت لى الصداقة التى تجمعنى ومؤلف هذا الكتاب أن ألم به ، فآثرت أن يطلع قراء الكتاب على هذا الجانب .

وربما كان لى غرض آخر من هذا المقال : هو ان يدرك شباننا المتأدبون أن فن الأدب لايكتفى فيه بالموهبة ، أو بالاعتقاد فى تلك الموهبة ، ثم ارسال القلم فى كتابات لاتقدمنا خطوة واحدة ، وانما هو الى ذلك اطلاع وتأمل ، لافى الشعر والنثر بأنواعه فقط ، بل كذلك فى النحت و التصوير والموسيقى ، ولافى الانتاج العربى وحده ، بل كذلك فى الانتاج الأوربى ، ولست احاول ان أرسم بهـــذا خطة ، فالخطة مرسومة مقدما ، بل هى بديهية من البديهيات ، وانما قصدت لفت النظر .

فاذا أتي اليوم الذى نري فيه شباننا المشتغلين بالادب قد ادركوا هذه الحقيقة كنا سعداء : توفيق الحكيم ، وكاتب هذه السطور وكل من يجرى فى دمه الاخلاص لهذا البلد المنكود بكل ما تحتويه كلمة الاخلاص من معنى ؟

عمالقة الاشجار

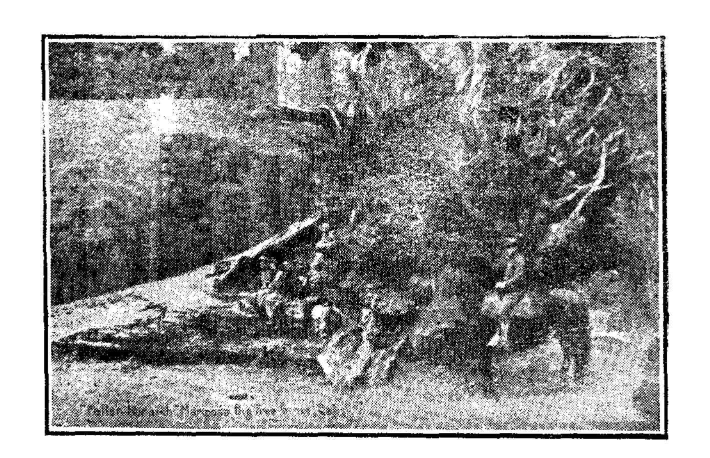
للدكتور محمد بهجت
خريج جامعة كاليفورنيا

— ٢ —

حرج ماريبوزا

يقع فى قمة جبال السييرا على ارتفاع ستة آلاف قدم . سمى كذلك لوجوده بمقاطعة بهذا الاسم . « وماريبوزا » كلمة اسبانية معناها « ابو دقيق » وكان اول من لمح رءوس اشجاره عن بعد رجلا يسمى « اوج » Hogg في سنة ١٨٥٥ ولكن رجلا آخر يسمى « جالن كلارك » Galen Clark اكتشفه عام ١٨٥٧ واليه يرجع الفضل فى ذلك . يصل اليه الزائر من طريق ضيقة لا تتسع لأكثر من عربة ، شديدة الانحدار والتعاريج ، تمر وسط غابات كثيفة مكتظة بانواع الصنوبر التى تعطر الجو دواماً . وغالبـــاً ما تكون حافة الطريق هى حافة هوة بعيدة القرار يغطى منحدرها آلاف الاشجار . وكثيراً ما يصادف الانسان قطيعا من الغزلان يعترض الطريق ، ترنو اليه بأعين سوداء كبيرة هادئة ثم لا تلبث ان ترتاع وتقفز فى رشاقة نادرة وتختفى فى ظلمات الغاب . ومن وقت الى آخر تخترق الاذن نغمة حلوة لطير جميل الريش يتفيأ ظلال الأغصان . او يقفز امامك سنجاب صغير يقف على خلفيتيه ويرفع ذيله الطويل المنفوش على ظهره حتى يكاد يلامس مؤخر رأسه ، ينظر اليك لحظة ثم ينقلب راجعا فى سرعة البرق . واحيانا يصادفك دب اسود الفرو لامعه ينظر اليك متكاسلا ثم يدير رأسه الى الناحية الأخرى متباعداً عنك غير عابىء بك .

وأخيرا تنتهي الطريق الى الحرج الذى لا تتجاوز مساحته ميلين مربعين . وهناك يشعر الزائر انه داخل فى معبد فسيح معطر الارجاء ذى عمد هائلة ، لا تستطيع الشمس ان ترسل الكثير من أشعتها الى ارضه لكثافة رءوس الاشجار ، فالظل لذلك وارف ظليل ، والهواء بارد عليل ، واما الصمت فرهيب شامل وما هى إلا برهة حتى تملك الانسان خشية ورهبة فيصمت هو الآخر ويتأمل ! اشجار باســقة تحلق رءوس بعضها فى الجو الى ارتفاع مائة وعشرة من الامتار . ويبلغ قطر البعض الآخر عشرة أمتار !! يرفع الانسان رأسه ليدرك سمو هــذه المخلوقات النبيلة ولكنه لا يلبث ان يطأطئه فى خشوع وذهول ، يميد بالحيرة ويضج بالأسئلة . ترى كم من السنين قامت هـذه العمد النباتية في مكانها لا تبرحه ، تحمل الثلوج شتاء على اذرعها الضخمة المنبسطة وتحتمل الزمهرير ولطمات البروق وجلجلة الرعود ، وهطول الامطار وتدفق السيول ؟ يقول بعضهم ثمانية الآف سنة ، ويقول بعضهم اربعة آلاف !! ومهما يكن التقدير فانها ولا شك أسن المخلوقات الحية واعظمها . كيف لا والشجرة « الصغيرة » التى تجاوزت الخمسمائة ربيع لا تزال فى ميعة الصبا ، واما التى سلخت من الزمن ألفى سنة فلا تزال فى سن الكهولة !! إذا نظر الانسان الى شيخ قارب المائة او جاوزها شعر بوقار السن وجلاله ، وخشع لتلك المسحة الهادئة الحزينة، التى تطبعها عليه يد الهرم . فما بالك اذا نظر الى مخلوق عمر ستة قرون ؟ ومع هـذا فلا ترى ضعفا ولا تقوسا ولا تهدما ، بل ترى شموخا وقوة وعظمة . ترى اصلها كأنه أبو الهول ناشبا اظفاره الضخمة فى جانب فريســة هائلة ، تري التمكن والرسوخ . نعم ان عليها روح الكآبة والحزن ولكنها كالجبار



العملاق الممدد او الملك الساقط

المكتئب يرفع رأسه الى السماء فى جمال وروعة ، غير عابىء بما في جنبه من طعنات او فى نفسه من وخزات . وحقيقة ترى بعضها محترق الجانب او القلب غير انها لا زالت حية باسقة تهزأ بكوارث الطبيعة وهوجها ، تطالع فيها رمز الصبر والاحتمال والخلود ، ثم انها كتاب تاريخي ضخم استوعب الكثير من تاريخ القرون ولكن كيف السبيل الى حل رموزه وطلاسمه ؟ هيهات ! تقف صامتة ، تنظر مبتسمة ســاخرة ، ولكنها لا تبوح بمكنون فؤادها فكانها حفيظة لسر الدهر

ولكل من هذه العمالقة اسم يعرف به ، فهــذه شجرة مارك توين تخلد اسم الكاتب المشهور وهى أطول اشجار العالم إذ يبلغ ارتفاعها ٣٣١ قدما ، وهذه شجرة جالن كلارك مكتشف الحرج وهذه شجرة واشنجطن ، وهـذه شجرة غروب الشمس وهى آخرة الاشجار التى تغيب عنها اشعة الشمس . وتلك شجرة الاصطبل

التى تؤوى خمسة عشر حصانا جذعها الأجوف، وتلك شجرة المنظار التي احترق من جوفها ما طوله خمسون قدما فاصبحت كالمنظار ترى من داخلها السما. ثم تلك شجرة «واوونا» Wawona — تلك الشجرة العجيبة التى شق فى احشائها طريق فى سنة ١٨٨٠ ارتفاعه ثمانى اقدام وعرضه إحدى عشرة تمر منه عربات الزوار الذين يحجون اليها من انحاء المعمورة. ومع هذا لا تزال حية تضحك من اقزام الانسان الذى اعمل فيها قواطعه ومناشيره وأجرى عليها هذه العملية الجراحية القاسية من غير ما مسكن او مخدر!! هى ارفع من ان تشكو هذا العبث الصغير!!...

وترى وسط الحرج «العملاق الرمادى» Grizzly Giant وهو من أضخم ما على وجه البسيطة من اشجار ومن اطولها عمرا. يبلغ ارتفاعها ٢٠٤ ومحيطها ١٠٤ اقدام، رأسها غير كامل لأنه محترق، ويظهر ان صاعقة انقضت عليه فاطارته. يبلغ سمك قشرها الذى يكسو خشبها نحو ٧٥ سنتيمترا، والعادة ان يكون لونه لون

شجرة واوونا يبين بها الطريق التى شقت في اصلها

القرفة، اما فى هذه الشجرة المعمرة فاللون رمادى يشهد بمعاركة الرياح والامطار والشمس وعناصر الطبيعة الأخرى القاسية قرونا طويلة، واقفة كأنها تصارع الزمن بسيف متكسر فهى كالبطل المنهوك المثخن بالجراح تغيب بين اضلاعه النصال والسهام. فمن ذا الذى يرى هذا المخلوق النبيل ولا يحنى رأسه فى خشوع واعظام واكبار؟ من ذا الذى لا يقف إصلها ضارعا بعد ان يشعر بعظمة الخالق والمخلوق؟ وسأحاول تصوير ضخامتها بما يلى من الأمثلة: —

١ — إذا وقف عشرون رجلا فى حلقة مقفلة حول أصلها بحيث تتلامس أطارف اصابعهم مع امتداد اذرعتهم فانهم يستطيعون تطويقها تماما

٢ — إذا شق فى اصلها طريق يمكن ان تمر منها مركبتان من مركبات الترام جنبا الى جنب

٣ — إذا أمكن ان تقور قاعدتها بحيث تشبه الغرفة استطاع اربعة عشر شخصاً ان يجلسوا على مقاعد حول مائدة مستديرة فى وسطها من غير ما تزاحم

٤ — إذا قطع ونشر خشبها انتجت ما يربو على نصف مليون قدم من الخشب

وبجانب آخر من الغاب يرى عملاق هائل صريعاً ممدداً يسمونه «الملك الساقط» Fallen monarch تقصر دون عظمته وضخامته عمد قدماء المصريين الصوانية المتساقطة فى المعابد. مؤثرة والله رؤية ذلك الطود الأشم بل ذلك الملك منزوع التاج منطرحا على الارض جسما بلا روح — ذلك الطود الذى عاصر الاهرام حيا وها هوذا لا يزال يسابقها فى حلبة العمر إذ يأبى خشبه الاستسلام للعفن وللاضمحلال والفناء مع ان جنبه يلامس الارض منذ مائتى عام!! وقد صورت اكثر من مرة وعليها عربة بستة أحصنة وعدة سيارات وجم غفير من الرجال.

ولعل أهم ما يتساءل عنه الزائر المتحير هو كيفية تكاثر هذه الاشجار وحفظ‌ها. وربما تأخذه الدهشة إذا علم انها تتكاثر من بذرة فى حجم الخردلة!! وتوجد هذه البذرة مع غيرها فى مخروط صغير لا يزيد حجمه على حجم البيضة الكبيرة. وقد يحتوى المخروط على ثلاثمائة بذرة. وتنتج الشجرة عددا هائلا من هذه المخاريط ولكن ما ينبت من بذورها قليل جداً

وقبيل الغروب عندما يتأهب الزائر لمغادرة ذلك المكان الساحر يرى ضربا آخر من الجمال إذ تنفذ اشعة الشمس فى حزم عريضة تشق ظلام الغاب الى سوق تلك الاشجار فتضيء جوانبها المغضنة بفيض من النور البديع يشف عن لون محمر يزرى بأجمل ألوان رخام ايطاليا المصقول. أما الجوانب المقابلة فتكون معتمة مصبوغة بلون بنفسجى شفاف.. بعد ذلك ترى نفسك مضطراً الى مغادرة المكان إذ يهجم الظلام سريعاً. فاذا ما خرجت من الحرج الى الطريق استطعت ان ترفع صوتك بالحديث بعد ان كنت تهمس، ثم تؤخذ بجمال الجبال عند الغروب. عجباً!! كيف يمكن أن تصطبغ رءوس تلك الجبال ومنحدراتها واشجارها بهذا اللون البنفسجى البديع الذى لم يستطع العلم تقليده الى الآن؟... وإن استطاع فاي جن يمكنهم أن يصبغوا بمثل تلك السطوح الهائلة فى ذلك الوقت القصير؟!! ثم بعد ذلك ايضا تنطبع صور تلك الاشجار العجيبة فى ذاكرتك الى مدى العمر، وتقف فيها بارزة قوية بحيث تراها وتحسها ونحن اليها وانت فى أى ركن من أركان العالم؟

العبـــقرية

علم وأدب وفن

للاستاذ الحوماني

أديب جبل عامل

قبل الكلام على واحد من هذه الثلاثة ، يجب أن نتكلم على النفس التي هي مصدر العلم والفن ، اللذين هما مصدر الحياة ، التي هي مصدر العالم

والنفس هنا هي جماع ما في الجسم من جوهر ، وأما النفس التي هي نواة الحياة في الحي مجردة عن الخصائص التي تعرضها ، فهي السر الكامن في الجسم الحي الحساس ينبعث عنه الفعل أو ينفعل هو بما يعرضه في الحياة

فهي(١) على هذا التحديد الاعتباري مجمع الخصائص في الانسان كالارادة والفكر والعقل ونحوها من أمهات العمل الخارجي او الداخلي

ولما كان المرء عبارة عن شخصيته التي يمتاز بها ، وهي نتاج هذه الخصائص ، وكان هذا الجسم قشرة لذلك الجوهر ، أطلقت النفس على المرء بمجموعه قلباً وقالبا

فالنفس التي هي مصدر العمل طرداً وعكسا ، هي أم الارادة التي هي مصدر العمل طرداً لا عكساً ، اى ان النفس تفعل وتنفعل واما الارادة فتفعل ولا تنفعل ، إذا صح ان كبت الارادة إنما هو انفعال النفس ، لا انفعال الارادة كما سيمر بك .

أما مصدر هذه النفس وارادتها التي يتطور بها الانسان بله الحيوان روحا وبدنا فانما هو تلك القوة المالئة هذا الكون ، او لعلها هي نفس الكون ، او لعل الكون إحدى جزئيات معناها الكلي .
ولم اكن لأومن كل الايمان انها «أي النفس الناطقة» ، نتيجة تفاعل هذه الخلايا ، أو انها احدى خواص هذا التركيب الجسدي ، او انها هي هو ، او انه ظرف يشتمل عليها ، وإن كان بعضها اقرب الى العقل من البعض الآخر

لا أومن بشيء من ذلك ، ولا بعدمه ، على رغم اني اعتقد باقتسام خصائص النفس اجزاء الجسم كالدماغ والقلب والأعصاب

لا أومن كل الايمان ، ولا أجحد كل الجحود ضرورة انه لم يثبت لدي أن الكائن مطلقا إنما هو نتيجة تفاعل الممكنين

(١) أي الاولى .

كما لم يثبت لدى عدمه مطلقا

فقد تكون الروح من الجسد مكان اللون والنور من الاجرام المرئية ، كما قد تكون منه مكان الطعم من الثمر والعطر من الزهر ، وقد تكون منه مكان الصدي والسير من السيارة ، كما قد تنزل منه منزلة السائق منها فتكون غيره

ولعلي لم آل جهدا في التفكير بما يقفني على هذه القوة (مصدر النفس) وا كتناه حقيقتها الغامضة ، او لعلي لم احجم عن درس أي كتاب اتصل بي صادرا عن أي مفكر في العالم للبحث عن هذه القوة ، فلم يزدني كل ذلك علما بما وراء ما احس الا انه امرفاتني حسه ففاتني اكتناه سره ، ولم اكن لأقول فيه الا من وراء الحدس والظن

ولعل ما نقوله في تلك النفس التي توحي الينا الفكر ، وتحرك السنتنا بالنطق ، انما هو من قبيل الخوض في هذا التيار الحافل باسرار هــذه القوة الغامضة فلم نقل فيه الا تخرصا وحدسا

ثم ما هي حقيقة هذه الارادة ؟

وما هو هذا الفكر ؟

هل هي وليدة انفعال تلك القوة العليا ؟

وهل هذا الفكر الذى نجول به في عالم النفس هو وليد ما يصدر عن هذه الارادة من عمل؟ أم هما معاً فعل تلك القوة الاولى ام نتيجة انفعالها؟

وهل من الممكن لو لم يصدر عن الارادة عمل في الحياة أن يتكون هنالك فكر يتدبر هذا العمل فنقول قد كانت ارادة ولم يكن فكر ، وسيبقى الفكر وتهرم الارادة ثم تموت ؟؟؟ اى أن الارادة هي التي اوجدت الفكر ، والفكر سيتغلب عليها بما يعضده من نواميس الاجتماع التي يسنها ، فيخلق الارادة حينئذ من جديد ويصبح الانسان ملكا

ومهما يكن من شيء فلا بد لنا قبل التعمق في البحث عن الفكر من تحرير الارادة ، وهذا التحرير يستلزم كلمة تتناول ما وراء هذا العمل الخارجي من عامل داخلي

الانفعال :

الانفعال هو من عوارض النفس (١) بما يفاجئها من حوادث خارجية ، أو تصورات داخلية ، فالغضب الذى هو نتيجة انفعال النفس بما يثير حفيظتها ويمتهن قدرها ، والسرور الذى هو نتيجة انفعالها بما تتلقاه من نبأ سار ، هما من العواطف التي هي

(١) النفس هنا هي الثانية لا الاولى، التي هي مجمع الخصائص كما علمت

نواة الشاعرية فى النفس ، والتي تنبعث عن هذا الانفعال .

وقد يكون الانفعال غير مفاجيء فينجم عن أمر الارادة للنفس بما يكبتها كاليأس الذى يتسرب الى النفس تدريجا بماتحدوها الارادة الي فعله من وراء الامل فتخفق في تحصيله جملة ، ويبقي لها رجاء بالحصول عليه ، ثم يضمحل هذا الامل تدريجا فيضغطها اليأس ويكون من وراء ذلك حزن عميق ينشأ عن انفعالها بالاخفاق

وقد ينشأ هـذا الانفعال العميق بما تتلمسه النفس الشاعرة أمام مشهد اجتماعى له جلاله كالاثر الفخم والجند الزاحف ، أو منظر طبيعي له جماله ، كالحدائق الغضة والخمائل الملتفة والمروج الخضراء ، كل ذلك يفعل فى النفس ما يبعث فيها السرور أو الحزن فتنفعل به . فالانفعال من عوارض النفس لا الارادة ، ضرورة انها تنفعل بما لاتريد

الارادة:

أكما تتأثر نفسك الشاعرة باحد المشاهد الاجتماعية ، أو المناظر الطبيعية ، فتنقبض أو تنبسط ، والفكر من ورائها يشرف على ثورتها ويحول دون طغيانها فينشأ بين جمالها وجلاله اثر فى الخارج ، هو نتيجة فعله وانفعالها ، أكذلك كانت هذه النفس وليدة القوة الاولى مصدر القوى الكونيه ، وكانت الارادة من لوازمها الذاتية ، ضرورة بقاء الحى حياً ، فهى لاتنفك عن النفس منذ الازل [1] ؟

ثم لابد لنا من تمهيد بسيط ، هو ان فى الأثر جزءاً من مؤثره ، سواء أ كان الاثر معنويا ام ماديا كالحكمة والفن فى الاجرام التى نبتدعها . فالحكمة فى الاثر أعنى الغاية التي كان لها ، انما هى جزء من عقل المؤثر المجرد [2] يشير الى عظمته فى نوعه من هذه الناحية ، والفن فيه هو جزء من عقله المتخيل المبدع ، يشير الى عظمة المؤثر من حيث خياله وتصويره فى رقيه الفكرى

ومجموع الحكمة والفن في الاثر هو الجمال ، فجمال الجرم المبتدع هو مايروعك فيه من شكل ولون وهو الفن ، ومن سمو غاية وهو الحكمة ، وكذا الاثر المعنوى ، فى البيت الواحد من الشعر او الفقرة الواحدة من النثر جزء من روح الشاعر أو الناثر تلمسه روح النافذ البصير من ورائهما

وهكذا الصورة والقلم ونحوهما من نتائج الفكر المادى ، ففيها جزء من روح الصانع يتراءى للحكيم من وراء صنعه . فجلال هذا الروح وجماله بجلال هذا الاثر وجماله

في قول القائل :

لا يغرنك فى الشآم رجال ٌ   موهوا بالرياء وجه الفرنسى
ربما اثرت العيون من الكحـ   ـل وخلف الجفون منبت ورس

تتجلى روح لم تسكن ، وانت الشاعر ، لتلمسها فى قول الاخر :

لايغرنَّك منهم نفر   اظهروا نحوك حبا ووداد
لو تبدى لك ما قد اضمروا   لرأيت النار فى وسط الرماد

وهكذا فانك لاتستطيع ان تقابل ما فى الكرسى بما فى الساعة من حكمة الصانع ، فبقدر ما فى الصانع من عظمة يبدو لك ما فى صنعه من جمال او جلال

وكون هذا الاثر مرآة مصدره كما نشاهد من وقوفنا على روح الشاعر بدراسة شعره ، وفكرة الفنان بتحليل فنه هو أمر متحقق فى الخارج لاشبهة فيه

« يتبع » النبطية (جبل عامل) (الحومانى)

(١) قد يقف فى طريق هذا التلازم تقرير انفراد النفس دون الارادة والعقل فيما بعد ، فتامل

(٢) هذا الحكم اعنى جعل الفن والحكمة صادرين عن العقل باعتبارين مبنى علي ماستحققه من ان الجوهر المكنون في الجسم انما هو واحد بعد الارادة والنفس

بلاط الشـــــهداء

بعد ألف ومائتي عام

للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ٢ —

وكان أثناء غاراته أو رحلاته في (اكوتين) قد اتصل بأميرها الدوق أودو ، وتفاهم معه، وكان الدوق مذ رأى خطر الفتح الاسلامى يهدد ملكه يسعى إلي مهادنة المسلمين ، وقد فاوضهم فعلا ، فانتهز كارل مارتل محافظ القصر وزعيم الفرنج هذه الفرصة لاعلان الحرب على الدوق ، وكان يخشى نفوذه واستقلاله ، وغزا اكوتين مرتين وهزم الدوق فكان أودو في الواقع بين نارين يخشى الفرنج من الشمال والعرب من الجنوب ، وكانت جيوش كارل مارتل تهدده وتعيث فى أرضه (سنة ٧٣١ م) فى نفس الوقت الذى سعى فيه عثمان بن أبي نسعة لمحالفته والاستعانة به على تنفيذ مشروعه فى الخروج علي حكومة الاندلس والاستقلال بحكم الولايات الشمالية ، فرحب الدوق بهذا التحالف وقدم ابنته الحسناء (لاميجيا) عروسا لعثمان ، وفي بعض الروايات أن ابن أبي نسعة أسر ابنة الدوق في بعض غاراته على اكوتين ثم هام بها حبا وتزوج منها . وعلى أى حال فقد وثقت المصاهرة عرى التحالف بين الدوق والزعيم المسلم ، ورأى ابن أبي نسعة كتمانا لمشروعه أن يسبغ على هذا الاتفاق صفة هدنة عقدت بينه وبين الفرنج ، ولكن عبد الرحمن ارتاب في أمر الثائر ونياته ، وأبي قرار الهدنة التى عقدها ، وأرسل إلى الشمال جيشا بقيادة ابن زيان للتحقق والتحوط لسلامة الولايات الشمالية ، ففر ابن أبي نسعة من مقامه بمدينة الباب[1] الواقعة على (البرنيه) إلى شعب الجبال الداخلية فطارده ابن زيان من صخرة الى صخرة حتى أخذ وقتل مدافعا عن نفسه ، وأسرت زوجه لاميجيا وأرسلت إلى بلاط دمشق حيث زوجت هناك من أمير مسلم[2] . ولما رأى اودو ما حل بحليفه واستشعر الخطر الداهم تأهب للدفاع عن مملكته ، وأخذ الفرنج والقوط فى الولايات الشمالية يتحركون لمهاجمة المواقع الاسلامية ، وكان عبد الرحمن يتوق إلى الانتقام لمقتل السمح وهزيمة المسلمين عند اسوار تولوشة ، ويتخذ العدة منذ بدء ولايته لاجتياح مملكة الفرنج كلها ، فلما رأي الخطر محدقا بالولايات الشمالية لم ير بدأ من السير إلى الشمال قبل أن يستكمل كل اهبته ، على أنه استطاع أن يجمع أعظم جيش سيره المسلمون إلى (غاليا) منذ الفتح ، وفي أوائل سنة ٧٣٢ م (أوائل سنة ١١٤ ﻫ) سار عبد الرحمن إلى الشمال مخترقا أراغون (الثغر الأعلى) ونافار (بلاد البشكنس) ودخل فرنسا فى ربيع سنة ٧٣٢ م ، وزحف توا على مدينة (آرل) الواقعة على نهر الرون لتخلفها عن أداء الجزية واستولى عليها بعد معركة عنيفة نشبت على ضفاف النهر بينه و بين قوات الدوق أودو ، ثم زحف غربا وعبر نهر الجارون وانقض المسلمون كالسيل على ولاية اكوتين[3] يثخنون فى مدنها وضياعها ، فحاول أودو أن يقف زحفهم ، والتقى الفريقان على ضفاف الدوردون فهزم الدوق هزيمة فادحة ، ومزق جيشه شر ممزق ، قال ايزيدور الباجي : « والله وحده يعلم كم قتل فى تلك الموقعة من النصارى » وطارد عبد الرحمن الدوق حتي عاصمته بوردو (بردال) واستولى عليها بعد حصار قصير ، وفر الدوق في نفر من صحبه إلى الشمال ، وسقطت اكوتين كلها فى يد المسلمين ، ثم ارتد عبد الرحمن نحو الرون كرة أخرى ، واخترق الجيش الاسلامى برجونيا واستولى على ليون وبيزانصون[4] ووصلت سرياته حتي صانص التى تبعد عن باريس نحو مائة ميل فقط ، وارتد عبد الرحمن بعد ذلك غربا إلى ضفاف اللوار ليتم فتح هذه المنطقة ثم يقصد إلى عاصمة الفرنج[5] . وتم هذا السير الباهر ، وافتتح نصف فرنسا الجنوبى كله من الشرق إلى الغرب فى بضعة أشهر فقط . قال أدوار جيبون — « وامتد خط الظفر مدى ألف

---

(١) واسمها بالقشتالية Cuidad de la Peurta وقد كانت تقع على احدى ممرات البرنيه وتسمي احيانا بويكاردا

تحيط الرواية سيرة لاميجيا وزوجها بكثير من القصص الخيالية الشائقة التى اتخذت فيما بعد مستقي لخيال بعض الكتاب والشعراء غير ان معظم هذه القصص لايخرج عن حد الاساطير

(٢) كانت امارة اكوتين فى ذلك الحين تمتد بين نهر الرون شرقا وخليج وسقونية غربا وبين اللوار شمالا ونهر الجارون جنوبا وتشغل من مقاطعات فرنسا الحديثة اجويان وبيرجور وسانتونج وبواتو وقنده وجزءا من انجو

(٣) وهي مسقط راس الشاعر الفرنسى الاشهر فكتور هوجو

(٤) يقدم كاردون شرحا آخر لسير عبد الرحمن فيقول . انه زحف اولا على آرل وحاصرها فبادر الكونت الي انجادها فلقيه عبد الرحمن وهزمه والجاه الى الفرار ثم عبر عبد الرحمن نهر الجارون واستولى على بوردو . وكان الكونت قد جمع جيشا جديدا وحاول رده وهزه فهزم مرة أخرى . ثم اخترق عبد الرحمن بيرجور وسانتونج ونواتو وهو يثخن فى تلك الانحاء حتى انتهى الى تور Cardonne ; Hist.de L'Afrique et de L'Espagne I. 129 ولكن عبد الرحمن اقتحم وادى الرون ايضا كما بينا وقد شرحنا سيره طبقا لجميع الروايات مجتمعة وطبقا للمواقع الجغرافية التى تتعلق بهذه الغزوة . وقد يكون ان عبد الرحمن لم يسر بنفسه شمالا نحو بورجونيا ولكن الجيش الاسلامى اقتحم هذه الانحاء بلا ريب .

(٥) الفصل الثاني والخمسون Roman Empire

ميل من صخرة طارق إلي ضفاف اللوار. وقد كان اقتحام مثل هذه المسافة يحمل العرب إلى حدود بولونيا و ربي ايكوسيا . فليس الرين بامنع من النيل أو الفرات ، ولعل أسطولا عربيا كان يصل إلى مصب التيمز دون معركة بحرية ، بل ربما كانت أحكام القرآن تدرس الآن فى معاهد اكسفورد وربما كانت منابرها تؤيد لمحمد صدق الوحى والرسالة ،

أجل كان اللقاء الحاسم بين الاسلام والنصرانية، والشرق والغرب، على وشك الوقوع . وكان اجتياح الاسلام للعالم القديم سريعاً مدهشا ، فانه لم يمض على وفاة النبي العربي نصف قرن ، حتى سحق العرب دولة الفرس الشامخة ، واستولوا على معظم أقطار الدولة الرومانية الشرقية من الشام إلى أقاصى المغرب ، وقامت دولة الخلافة قوية راسخة الدعائم فيما بين السند شرقا والمحيط غربا ، وامتدت شمالا حتى قلب الأناضول ، وكانت سياسة الفتح الاسلامى مذ توطدت دولة الاسلام ترمى الى غاية أبعد من ضم الأقطار و بسطة السلطان والملك . فقد كان الاسلام يواجه فى الأقطار التى افتتحها من العالم القديم ، أنظمة راسخة مدنية واجتماعية ، تقوم على أصول وثنية أو نصرانية ، وكانت النصرانية قد سادت أقطار الدولة الرومانية منذ القرن الرابع ، فكان على الخلافة أن تهدم هذا الصرح القديم وأن تقيم فوق انقاضه فى الأمم المفتوحة نظما حديثة ،تستمد روحها من الاسلام وان تذلل النصرانية لصولة الاسلام سواء بنشر الاسلام بين الشعوب المفتوحة أو باخضاعها من الوجهة المدنية والاجتماعية لنفوذ الاسلام وسلطانه ، وكان هـذا الصراع بين الاسلام والنصرانية قصير الأمد فى الشام ومصر وافريقية ، فلم يمض نصف قرن حتى غير الاسلام هذه الامم بسيادته ونفوذه ، وقامت فيها مجتمعات اسلامية قوية شاملة، وغاضت الأنظمة والأديان القديمة، ثم دفعت الخلافة فتوحها الى أقاصى الأناضول من المشرق وجازت الى اسبانيا من المغرب . فاما فى المشرق فقد حاول الاسلام أن ينفذ الى الغرب من طريق قسطنطينية ، وبعثت الخلافة جيوشها واساطيلها الزاخرة الى عاصمة الدولة الشرقية مرتين : الأولى فى عهد معاوية بن أبى سفيان سنة ٤٨ هـ (٦٦٨ م) والثانية في عهد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨ هـ (٧١٧ م) وكانت قوى الخلافة فى كل مرة تبدى فى محاصرة قسطنطينية غاية الاصرار والعزم والجلد ، ولكنها فشلت فى المرتين وارتدت عن اسوار قسطنطينية منهوكة خائرة .

« يتبع »

الى روح شوقي بك

خيم الليـــل وفي آفاقه — شهب ترمى الى الارض سناها
ملكت عينىْ كئيب عاشق — قد رعته مذ تبدت ورعاها
شاعر قـد ضاقت الدنيا به — فرنا شوقاً الى رحب سماها
روحه الثكلى بكت فقد المنى — اين للباكى اسى مثل اساها؟
بات يدعو الله فى احزانه — عله يشفى من النفس ضناها
« أطلق اللهم قيدى في الهوى — وأبنْ عن مهجتى الحرى جواها
وأعد نفسى الى حيث الورى — في سماء الحب لم تعبد سواها
كل يوم للردى سخرية — تجرح القلب وللناس صداها
تتراءي لى تهاويل الاسى — بين خذلان حياتى ورجاها
كحسان عاريات تكتسى — من لهيب النار مايدمي حشاها
واثبات تتنزى حسرة — والمنايا تتهادى فى خطاها
كلما في الليـل مالت نجمة — خلتها نفسى دهاها مادهاها
أو رأيت الطير فى دوحته — والخريف السوء عرّاها حلاها
خلته العاشق فى وحـدته — واجماً يذكر اياماً قضاها
عـذبات الانس ما عانقتها — وثمار اللهو لم اجن جناها
زهرة الجثمان في ريعانها — وركاب العمر لم تبلغ مداها
والامانى لم تزل فى فجرها — باسمات الثغر والأمن غطاها
عطفت روحي على ريحانها — عطفة الام على مهـد فتاها
ثم ولت وهى عبري بعدما — لثمت منها خدوداً وشفاها
غالهـا الدهر بسهم صائب — فغدت تذبل فى زهو صباها »

* * *

ثم فاضت روحـه طاهرة — وجرت فى مقلة الشمس دماها
صـدح البلبل لمـا اشرقت — وصداح الطير نوع من بكاها

حلب — عمر ابو قوس

دعابة

ماأنتَ فى ثوبك بدر الدجى — كلا ولا أنت غزال شدَنْ !
أنت وربي فتنة صُورتْ — للناس من كلِ أنيقٍ حَسن
تستأسِرُ الآهَ فتهفو لدي — مرآك من كل فؤادٍ فتن
لاتحتَجب بالبعـد عنا فما — يعرف فضل الحسن إنلم َيبن
وأنت فى ذاتك سر وذا — حسنك فيأبصارنا قد علن
يا نعمتي في محنتى ، داونى — يا سكنى إما تجافى السكن
تعال زَوِّد شفتى قبلةً — من قبل أن يُسرع فيك الزَّمن

حمص — رفيق فاخورى

الحرية في الكتابة

ومدى التجديد فيها

لست اقصد بحرية الكتابة ما يقصده كتاب السياسة حين يكتبون عن الصحافة والصحف ، وما يجوز للصحف ان تتعرض له وما لايجوز لها الخوض فيه ، وانما اقصد ذلك القدر من الحرية الذى ينبغي ان يتمتع به الكاتب الاديب حين يكتب مقالته او ينشىء رسالته، واسأل: أهو قدر غير محدود؟ وهل هي حرية غير ذات نهاية او حد؟ ام هو قدر من الحرية مهما اتسع افقه وطال قطر دائرته فان له حداً لا ينبغي للاديب ان يتجاوزه ، وقواعد لا ينبغي له ان يطغى عليها فيمحوها او يغير منها؟ وقد دعاني الى هذا التساؤل ما قرأته في العدد الاخير من الرسالة للاديب الفاضل حبيب شماس يخاطب فيه الدكتور هيكل بك فيقول له : « اغاط واكثر من الغلط الموهوم وكسر من هذه القيود التى كسر بعضها من قبلك طه » ويختمه بقوله : « ان اغلاط اكابر الكتاب هى صك تحرير النشء الصاعد »

وليست المسألة ان يخطىء الدكتور هيكل او يصيب، ولا ان يكسر الدكتور طه قيوداً من قيود الادب او يتركها تغل الايدى والاقلام، وانما المسألة مسألة اللغة العربية وما وضع لها من قواعد وحدود، كما وضع لغيرها من لغات العالم كله ، فان هذه الاغلاط والاخطاء إن ابيح للدكتور هيكل وغيره من كبار الكتاب أن يقعوا فيها ، فليس لاحد بعد ذلك ان يحظر على النشء الصاعد ما ابيح للنشء الذى صعد ، وسيحاول اولئك المخطئون من النشء ، ان يبرروا اخطاءهم كما يفعل كبار كتابهم وقادتهم من الادباء ، ولكنهم عندئذ لن يقدموا دليلا على صحة ما كتبوا كما لم يقدم أكابر الكتاب دليلا على صحة ما كتبوا ، وإنما سيؤول الأمر فى ذلك كله إلى ارادة الكاتب وهواه ، وسنعود فى قواعد اللغة العربية إلى مثل ما نحن فيه الآن من خلاف فى النقد الأدبى ، أهو قائم على قواعد وأسباب بعينها ، أم هو قائم على الذوق وحده ؟ وسيري كل فى اللغة العربية مايريد ، هذا يرفع المفعول وذاك ينصبه وذاك يجر الفاعل وهذا ينصبه ، فاذا سألته فى ذلك أو نقدت قوله قال لك دعني فانى هكذا أكتب ، وهكذا أريد ، ولن أغير فى كتابتي ولن أكتب غير ما أريد وستنفرد اللغة العربية اذن بهذا الأسلوب الغريب المتعدد الذى لاضابط له من قواعد ولا قياس ، فتفوق بذلك لغات الأرض قديمها والحديث ، وسيكون ذلك كله باسم التجديد فى اللغة والأدب.

ان هذه اللغة العربية ليست لغتنا نحن المصريين ، وانما هى لغة طغت على اللغة المصرية ، واحتلت مكانها فصارت لغتنا وأخذناها ونحن راضون بها مطمئنون اليها ، فهى لغة كتاب السواد الأعظم من المصريين ولغة نبيهم الكريم ، فاما أن نحرص عليها وعلى قواعدها ونسير وفق مناهج أصحابها ، وأما أن نغير تلك القواعد ونجعلها موافقة لطبيعة عصرنا وأمزجتنا ، ونصطلح على قواعد لايختلف فيها نشء صعد ولا نشء صاعد ، أما قبل ذلك التجديد فليس لنا الا ان نتبع ما لدينا من قواعد اللغة ونحوها . سيقال أن هذا التجديد الذى يحدثه كبار الكتاب فيما يكتبون سيصبح مع الزمان قواعد تتبع ونماذج تحتذى ، بل هو قيـــل بالفعل ، ولكن ليس كل الكتاب من الأكابر ، وليس من الممكن أن نقصر التجديد على كبار الكتاب ونحظره على الناشئين منهم ، ولسنا نأمن على اللغة من هؤلاء الناشئين أن يفسدوها من حيث أرادوا لها تجديداً واصلاحا .

للكتاب أن يغيروا من الأساليب كيفما يشاءون ، وأن يصطنعوا الاطناب أو الايجاز كما يريدون ، فان هذا كله خير للغة ودليل على غناها ومرونتها ، ولكن فى حدود القواعد المرسومة والنحو الموضوع ، ولا يهمني أن تكون تلك القواعد جديدة نصطلح عليها الآن أو أن تكون هي التى بين أيدينا والتى أجاهر بأنها فى حاجة كبيرة الى الاصلاح ، فالمقصود هو أن ننزع اللغة من براثن الفوضى، ومادام الكتاب كباراً ففي وسعهم من غير شك أن يكتبوا فيحسنوا الكتابة ، وأن يعرضوا أفكارهم الناضجة وآثارهم الادبية فيحسنوا عرضها ، وأن يحافظوا مع ذلك كله على قواعد اللغة ؟

محمد قدرى لطفي
ليسانسييه فى الآداب
اسكندرية

عكاظ والمربد

للاستاذ أحمد أمين

— ٢ —

وقد يتفاخر الرجلان من قبيلتين فيفخر كل بقبيلته ومكارمها ، فيتحاكمان الى حكم عكاظ ، كما فعل رجل من قضاعة فاخر رجلا من اليمن فتحاكما الى ذلك الحكم (١)

ومن كان داعيا الى اصلاح اجتماعي أو انقلاب ديني كان يرى أن خير فرصة له سوق عكاظ ، والقبائل من أنحاء الجزيرة مجتمعة ، فمن قبل الدعوة كان من السهل أن يكون داعيا في قومه اذا عاد اليهم ، فنرى قس بن ساعدة يقف بسوق عكاظ يدعو دعوته ويخطب فيها خطبته المشهورة على جمل له أورق ، فيرغب ويرهب ويحذر وينذر .

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اتجه الى دعوة الناس بعكاظ لأنها مجمع القبائل ، روى الواقدي أن رسول الله أقام ثلاث سنين من نبوته مستخفيا ، ثم أعلن في الرابعة فدعا عشر سنين ، يوافي الموسم ، يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ والمجنة وذي المجاز ، يدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة ، فلا يجد أحدا ينصره حتى انه يسأل عن القبائل ومنازلهم قبيلة قبيلة ، حتى انتهى الى بني عامر بن صعصعة فلم يلق من أحد من الأذى ما لقي منهم (٢) وفي خبر آخر أنه أتى كندة في منازلهم بعكاظ فلم يأت حيا من العرب كان ألين منهم (٣) وعن علي بن أبي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج في الموسم فيدعو القبائل فما أحد من الناس يستجيب له نداءه ويقبل منه دعاءه ، فقد كان يأتي القبائل بمجنة وعكاظ ومنى حتى يستقبل القبائل ، يعود اليهم سنة بعد سنة ، حتى كان من القبائل من قال : أما آن لك أن تيأس منا ؟ من طول ما يعرض نفسه عليهم ، حتى استجاب هذا الحي من الأنصار (١)

وروى اليعقوبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بسوق عكاظ عليه جبة حمراء فقال : يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وتنجحوا ، ويتبعه رجل يكذبه وهو أبو لهب بن عبد المطلب (٢)

كذلك كان لعكاظ أثر كبير لغوي وأدبي ، فقد رأينا قبائل العرب على اختلافها من قحطانيين وعدنانيين تنزل بها ، وملك الحيرة يبعث تجارته اليها ، ويأتي التجار من مصر والشام والعراق (٣) ، فكان ذلك وسيلة من وسائل تفاهم القبائل ، وتقارب اللهجات ، واختيار القبائل بعضها من بعض ما ترى أنه أليق بها وأنسب لها ، كما أن التجار من البلدان المتمدنة كالشام ومصر والعراق كانوا يطلعون العرب على شيء مما رأوا من أحوال تلك الأمم الاجتماعية . وفوق هذا كانت عكاظ معرضا للبلاغة ومدرسة بدوية يلقى فيها الشعر والخطب وينقد ذلك كله ويهذب ، قال أبو المنذر : « كانت بعكاظ منابر في الجاهلية يقوم عليها الخطيب بخطبته وفعاله وعد مآثره وأيام قومه من عام الى عام فيما أخذت العرب أيامها وفخرها ، وكانت المنابر قديمة يقول فيها حسان :

أولاء بنو ماء السماء توارثوا — دمشق بملك كابرا بعد كابر

يؤمون ملك الشام حتى تمكنوا — ملوكا بأرض الشام فوق المنابر (٤)

فيقف اشراف العرب يفخرون بمناقبهم ومناقب قومهم .. فبدر بن معشر الغفاري . . . . كان رجلا منيعاً مستطيلا بمنعته على من ورد عكاظ فاتخذ مجلسا بهذه السوق وقعد فيه وجعل يبرح على الناس ويقول .

نحن بنو مدركة بن خندف — من يطعنوا في عينه لا يطرف

ومن يكونوا قومه يغطرف — كأنهم لجة بحر مسدف

فيقوم رجل من هوازن فيقول :

أنا ابن همدان ذوي التغطرف — بحر بحور زاخر لم ينزف

نحن ضربنا ركبة المخندف — اذ مدها في أشهر المعرف (٤)

---

(١) أمثال الضبي ص ١٨ (٢) دلائل النبوة ١٠١ ، ١٠٢ .
(٣) ص ١٠٣ .

(١) ص ١٠٥ . (٢) اليعقوبي ١ ص ٢٣ و ٢٤ . (٣) يروون أن عبد الله بن جدعان أتى مصر فباع ما معه وعاد الى سوق عكاظ . انظر الاكليل للهمداني جزء ٨ ص ١٨٤ وما بعدها . (٤) الازمنة والامكنة ٢ ص ١٧٠ (٥) الاغاني ١٩ ص ٧٤

وعمرو بن كلثوم يقوم خطيبا بسوق عكاظ وينشد قصيدته المشهورة:
ألا هبي بصحنك فاصبحينا (١)

والاعشى يوافي سوق عكاظ كل سنة ، ويأتي مرة فاذا هو بسرحة قد اجتمع الناس عليها فينشدهم الاعشى فى مدح المحلق (٢) والنابغة الذبيانى تضرب له قبة أدم بسوق عكاظ يجتمع اليه فيها الشعراء فيدخل اليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى والخنساء فينشدونه جميعاً ويفاضل بينهم و ينقد فيما زعموا قول حسان :
لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى

فيقول لحسان قللت العدد ولو قلت الجفان لكان أكثر . وقلت يلمعن بالضحى ولو قلت يبرقن بالدجى لكان ابلغ فى المديح لأن الضيف بالليل اكثر طروقا (٣)

ودريد بن الصمة يمدح عبدالله بن جدعان بعدان هجاه فيقول :
اليك ابن جدعان اعملتها محففة للسرى والنصب (٤) الخ

وقس بن ساعدة يخطب الناس خطبته المشهورة فيذكرهم بالله والموت ورسول الله يسمع له (٥)، والخنساء تسوم هودجها براية وتشهد الموسم بعكاظ وتعاظم العرب بمصيبتها فى أبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وتنشد في ذلك القصائد ، فلما وقعت وقعة بدر وقتل فيها عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة أقبلت هند بنت عتبة الى عكاظ ،وفعلت كما فعلت الخنساء ، وقالت اقرنوا جملي بجمل الخنساء ففعلوا ، فعاظمت هند الخنساء فى مصيبتها وتناشدتا الأشعار : تقول احداهما قصيدة فى عظم مصيبتها وترد الأخرى عليها (٦) . وعلى الجملة فكانوا فى عكاظ يتبايعون ويتعاكظون ويتفاخرون ويتحاجون ، وتنشد الشعراء ما تجدد لهم ، وفى ذلك يقول حسان :
سأنشر ما حييت لهم كلاما ينشر فى المجامع من عكاظ

فمن هذا كله نرى كيف كانت عكاظ مركزاً لحركة أدبية ولغوية واسعة النطاق كما كانت مركزا لحركة اجتماعية واقتصادية .

نظام سوق عكاظ

كانت القبائل — كما أسلفنا — تنزل كل قبيلة منها فى مكان خاص بها ، ثم تتلاقى أفراد القبائل عند البيع والشراء أو فى الحلقات المختلفة . كالذى حكينا أن الأعشى رأي الناس يجتمعون على سرحة ، أو حول الخطيب يخطب على منبر ، أو في قباب من أدم تقام هنا وهناك ، ويختلط الرجال بالنساء في المجامع ، وقد يكون ذلك سببا فى خطبة أو زواج او تنادر (١) وكانت تحضر الأسواق — وخاصة سوق عكاظ — أشراف القبائل ، وكان اشراف القبائل يتوافون بتلك الأسواق مع التجار من أجل ان الملوك كانت ترضخ للاشراف ، لكل شريف بسهم من الارباح ، فكان شريف كل بلد يحضر سوق بلده ، الا عكاظ فانهم كانوا يتوافون بها من كل أوب » (٢) .

والظاهر أن المراد بالملوك هم الأمراء ورؤساء القبائل الذين يرسلون بضائعهم لبيعها في أسواق العرب كملك الحيرة والغساسنة وأمراء اليمن ونحوهم — وكانت القبائل تؤتى لرؤسائها اتاوة في نظير اقامتهم بالسوق ، فقد ذكر اليعقوبى فى تاريخه أخبار أسواق كثيرة كان يعشرها أشرافها — أى يأخذون العشر (٣) وفى عكاظ كانت القبائل تدفع لأشرافها هذه الاتاوة ، فهوازن كانت تؤتي زهير بن جذيمة الاتاوة كل سنة بعكاظ ، وهو يسومها الخسف وفى أنفسها منه غيظ وحقد » (٤) وكانت الاتاوة سمنا وأقطا وغنما (٥) ، وكان عبد الله بن جعدة سيدا مطاعا وكانت له اتاوة بعكاظ يؤتي بها ، ويأتي بها هذا الحى من الازد وغيرهم ، ومن هذه الاتاوة ثياب (٦)

وكان الاشراف يمشون فى هذه الأسواق ملثمين ، ولا يوافيها (عكاظ) شريف الا وعلى وجهه برقع مخافة ان يؤسر يوما فيكبر فداؤة ، فكان أول من كشف طريف العنبرى ، لما رآهم يطلعون فى وجهه ويتفرسون في شمائله ، قال : قبح من وطن نفسه الا على شرفه ، وحسر عن وجهه وقال :
أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا الىّ عريفهم يتوسم
فتوسموني انني أنا ذلكم شاكى السلاح وفي الحوادث معلم
الى آخر الأبيات (٧)

وكان على سوق عكاظ كلها رئيس اليه أمر الموسم واليه القضاء بين المتخاصمين ، قال أبو المنذر : وتزعم مضر أن أمر الموسم وقضاء عكاظ كان فى بنى تميم .... وكان من اجتمع له ذلك منهم بعد عامر بن الظرب العدواني سعد بن زيد بن مناة من تميم ، وقد فخر المخبل بذلك فى شعره :
ليالى سعد فى عكاظ يسوقها له كل شرق من عكاظ ومغرب

(١) الاغانى ٩ ص ١٨٢ (٢) الاغانى ٨ ص ٧٩ ، ٨٠
(٣) أغاني ٨ ص ١٩٤ ، ١٩٥ (٤) أغانى ٩ ص ١٠
(٥) اغانى ١٤ ص ٤١ و ٤٢ (٦) صفة جزيرة العرب ص ٢٦٣

(١) أنظر الاغانى ج ١٠ ص ١٤٥ ومابعدها و ج ١٣ ص ١٤٠ ومابعدها
(٢) الازمنة والامكنة ٢ ص ١٦٦ (٣) اليعقوبي جزء ٢ ص ٣١٣ وما بعدها (٤) الكامل لابن الاثير ١ ص ٢٢٩ (٥) أغاني ١٠ ص ١٢
(٦) أغانى ٤ ص ١٣٦ وما بعدها (٧) الازمنة والامكنة ٢ ص ١٦٦

حتى جاء الاسلام فكان يقضى بعكاظ محمد بن سفيان بن مجاشع (١)

تاريخ عكاظ :

من العسير جدا أن نحدد بدء عكاظ ، فلم نجد فى ذلك خبرا يصح التعويل عليه ، يقول الألوسى في بلوغ الأرب « انها اتخذت سوقا بعد الفيل بخمس عشرة سنة » ولكن اذا بحثنا فى الأحداث التى رويت فى عكاظ وجدنا ذلك غير صحيح ، فهم يروون — كما قدمنا — أن عمرو بن كلثوم أنشد قصيدته فى عكاظ ، وعمرو بن كلثوم كان على وجه التقريب حول سنة ٥٠٠ م .

كذلك اذا عدنا الى ما رواه المرزوقى فى الازمنة والأمكنة عن رؤساء عكاظ وجدنا أنه عدهم قبل الاسلام عشرة ، أولهم عامر بن الظرب العدواني . وهذا — من غير شك — يجعل تاريخ عكاظ أبعد مما يحكى الألوسى بزمان طويل ، كذلك يروى الأغاني ان عبلة زوجة عبد شمس بن عبد مناف باعت أنحاء سمن بعكاظ (٢)

وظلت سوق عكاظ تقوم كل سنة ، وكانت فيها قبيل الاسلام حروب الفجار ، وهى حروب أربع ، وكان سبب الأولى على ما يروي ، المفاخرة فى سوق عكاظ . وسبب الثانية تعرض فتية من قريش لامرأة من بنى عامر بن صعصعة بسوق عكاظ . وسبب الثالثة مقاضاة دائن لمدينه مع اذلاله فى سوق عكاظ ، وسبب الأخيرة أن عروة الرجال ضمن أن تصل تجارة النعمان بن المنذر الى سوق عكاظ آمنة فقتله البراض فى الطريق (٣)

فكلها تدور حول سوق عكاظ ، وهذه الحروب كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة ، وشهدها النبى وهو ابن أربع عشرة سنة مع أعمامه ، وقال : كنت يوم الفجار أنبل على عمومتي (٤)

واستمرت هذه الحروب نحو أربع سنوات . وقد كانت هناك نزعتان عند أشراف العرب نزعة قوم يقصدون الى السلب والنهب وسفك الدماء لا يصدهم صاد ، ولا يرعون حتى الأشهر الحرم ، ويتحرشون بالناس ، فيمد أحدهم رجله فى سوق عكاظ ويتحدى الأشراف مثله أن يضربوها فتثور من ذلك الثائرة (٥)

وفريق يميل الى السلم ودرء أسباب الحروب ونجاح التجارة والأسواق بتأمين السالكين وعدم التعرض لهم بأذى ، جاء فى تاريخ اليعقوبي : « أنه كان فى العرب قوم يستحلون المظالم اذا حضروا هذه الأسواق فسموا « المحلون » وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون الذادة « المحرمون » ، فاما المحلون فكانوا من أسد وطيء وبنى بكر بن عبد مناة وقوم من بنى عامر بن صعصعة — وأما الذادة المحرمون فكانوا من بنى عمرو بن تميم وبنى حنظلة بن زيد مناة وقوم من هذيل وقوم من بنى شيبان . . . فكان هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس (١) — .

وكان من أشهر الداعين الى السلم عبد الله بن جدعان ، فقد كان اذا اجتمعت العرب فى سوق عكاظ دفعت أسلحتها الى ابن جدعان ، ثم يردها عليهم اذا ظعنوا ، وكان سيدا حكيما مثريا (٢) .

ويظهر أن أصحاب هذه النزعة الثانية وهم الذادة هم الذين سموا هذه الحروب حرب الفجار ، لما ارتكب فيها من الفجور وسفك الدماء ، وهم الذين تغلبوا فيما بعد ونجحوا فى وقف هذه الحروب ، ودعوا الناس أن يعدوا القتلى فيدوا من فضل ، وأن يتعاقدوا على الصلح ، فلا يعرض بعضهم لبعض ، وربما كان من أثر ذلك حلف الفضول ، وقد عقد فى بيت عبد الله بن جدعان هذا .

واستمرت عكاظ فى الاسلام ، وكان يعين فيها من يقضى بين الناس ، فعين محمد بن سفيان بن مجاشع قاضيا لعكاظ ، وكان أبوه يقضى بينهم في الجاهلية وصار ذلك ميراثا لهم (٣)

ولكن يظهر أن هذه الأسواق ضعف شأنها بعد الفتوح فأصبحت البلاد المفتوحة اسواقا للعرب خيرا من سوق عكاظ ، وصار العرب يغشون المدن الكبيرة لقضاء أغراضهم ، فضعفت أسواق العرب ومنها عكاظ . ومع ذلك ظلت قائمة وكان آخر العهد بها قبيل سقوط الدولة الأموية . قال الكلبي : « وكانت هذه الأسواق بعكاظ ومجنة وذى المجاز قائمة في الاسلام حتى كان حديثا من الدهر ، فأما عكاظ فانما تركت عام خرجت الحرورية بمكة مع أبي حمزة المختار بن عوف الأزدى الأباضى فى سنة تسع وعشرين ومائة ، خاف الناس أن ينهبوا وخافوا الفتنة فتركت حتى الآن ، ثم تركت مجنة وذو المجاز بعد ذلك

« البقية علي صفحة ٢٧ »

(١) أنظر تعداد من ولى عكاظ في الازمنة والامكنة ٢ ص ١٦٧
(٢) أغاني ١ ص ٨٤ . (٣) انظر العقد الفريد ٣ ض ١٠٨ والاغانى .
(٤) النهاية لابن الاثير مادة فجر (٥) الاغانى ٤ ص ١٣٦ .

(١) اليعقوبى ٢ : ٣١٣ وما بعدها (٢) انظر الاغاني ١٩ ص ٧٣ وما بعدها (٣) الازمنة والامكنة ج ٢ ض ١٦٧ وما بعدها .

من طرائف الشعر

شوقية لم تنشر

وهذه قطعة اخرى من أدب الأطفال عنوانها «الرفق بالحيوان» ظمها شاعر الخلود شوقي بك ولم تنشر.

الحيوان خلق — له عليك حق
سخره الله لكا — وللعباد قبلكا
حمولة الأثقال — ومرضع الأطفال
ومطعم الجماعة — وخادم الزراعة
من حقه أن يرفقا — به وألا يرهقا
إن كل دعه يسترح — وداوه إذا جرح
ولا يجع في داركا — أو يظم في جواركا
بهيمة مسكين — يشكو فلا يبين
لسانه مقطوع — وما له دموع

بين صياد وأسد

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

لاقي اسامة وهو الضيغم الضاري — في الغاب صياد آساد وأنمار
فقال واليد تحوى بندقيته — يأتي عليه سؤال العاتب الزاري
ياليث قل لي: لماذا أنت ذو ولع — بقتل باقورة [1] ترعي وبقار [2]
فقال بالقتل يغريني السعار فسل — من كان يقتل لهواً بالدم الجاري
وقد أحاول قتل النفس مثئراً [3] — والقتل للهو غير القتل للثار
وربما اضطرني للقتل معترض — وما على القاتل المضطر من عار
القتل فيه حياة لي سأشكر من — له حباني بانياب وأظفار
اصوم يومي وحسبي ان يكوز على — دم عبيط لظبي صدت افطارى

لأنت اضعف مخلوق، ويدهشني — ماف سلاحك من سحر واسرار
ان القضيب [4] الذي تلهو يداك به — يكاد يخطف منه البرق ابصارى
وتعترى رجفة مني الفؤاد لدى — سماع صوت له كالرعد هدار
وهذه الارض من خوفي سأهجرها — فلست تسمع بعد اليوم اخبارى
لانت اعدى عدو لي يطاردنى — وانت اجدر من عادى باكبارى

قد كنت أحمي عريني ان يطوف به — وحش واني ذاك القسور الضارى
اذا زأرت فاني مثل راعدة — أو انقضضت فاني شبه إعصار

(١) جماعة البقر (٢) صاحب البقر (٣) بتشديد الثاء
(٤) كناية عن البندقية

وقد أهاجم جاموسا فاصرعه — بضربة من يميني ذات آثار
ما أكثر الوحش في الآجام واغلة — وما بها كل ذي ناب بمغوار
واليوم اني على مافي من ثقة — بقوتي خائف من زندك الوارى
الليل منك اذا ماجن يسترني — اما النهار فواش غير ستار

اني أقر باوزارى التي عظمت — لوكان يذهب اقرارى باوزارى
ان كنت اقتل ذا شر يهاجمني — فقد قتلتم الوفا غير اشرار
بالسيف، بالنار، بالغازات خانقة — وبابتعاث ألوباء الفاتك السارى
ونحن إما اردنا البطش ننذركم — وتفتكون بنا من غير انذار
ندنو فنقتل بالانياب عن كثب — وتقتلون برغم البعد بالنار

كانت لنا الارض ملكا قبل خلقكم — من صلب قرد طريد آكل الفار
سل ان شككت رجال العلم يعترفوا — بما اقول وما ذو الجهل كالدارى

بلى اضر اذا ماجعت مفترسا — لكنني لست في شبعي بضرار
لا أوثر القتل حباً في محاسنه — بل ان في حاجتي بعثاً لايثارى
خلقت ليثا هصوراً وسط غابته — ولم اكن انا في خلقي بمختار
اني بكوني رئبالا لمفتخر — فلا تعبن اخلاقي واطوارى
وجدت في الغاب نفسي ضاريا اسدا — فهل يغير مني الهازيء الزارى؟

ولست تعلم ما نفسي ترى حسناً — فان رأسك يحوى غير افكاري
اما الحياة فليست مثل مازعموا — مقسومة بين اشرار وابرار
ادير عيني في الاحياء ارقبها — فلا الاقى امامي غير اشرار
ان القوى ليبقي والحياة وغي — في البر، في البحر، في الاجواء، في الغار
ولا يعيش عزيزا غير مجترىء — ولا يموت ذليلا غير خوار
تود سجني لو تسطيع في قفص — ويمقت السجن حر شبل احرار

الخريف والزهرة

همس الخريف لغرسة فواحة — ضحك الربيع لها وبرعم عودها
اليوم يرقصك النسيم وتلتوي — بيد النسيم من الزهور قدودها
اليوم تفرح بالربيع خمائل — جليت مطارف زهوها وبرودها
اليوم تسكرك الطيور وتسمع — بين على الغصون مرنماً غريدها
لكن غداً او غداً اذا خف الهوي — وذوت ازاهير المنى وورودها
يمشي الشحوب على محاسنك التي — سطعت يزيل خطوطها ويبيدها
وأمد كفي للزهور تهزها — تيهاً، فيفرط شذرها وفريدها
فذرى حياة للعذاب تألفت — ويل الشقاء يشوبها ويعودها
قالت حياتي ياخريف عزيزة — وانا على رغم الشقاء اريدها
انا كالغوانى تستلذ العيش ما — فتئت تشع ميولها وخدودها
قال الخريف: أميتها وتميتنى — قال الربيع: تعيدني وأعيدها

خليل هنداوى

(١) الضمن. العاشق.

عبقر

لاسرة المعلوف قدم سابقة في الادب ، وعبقرية خالقة في الشعر ، ورحم الله فوزى المعلوف فقد ابتدأ الشعر من حيث انتهي غيره ، ولو لم يحتضر وهو في ريق العمر لارى الناس كيف يتحضر الشعر ويتجدد الادب . وقد نبغ اليوم من هذه الاسرة الكريمة الشاعر الشاب شفيق المعلوف : فقد نظم ملحمة عنوانها « عبقر » ثم نشرها في البرازيل . وسنكتفى اليوم باختيار شيء منها على ان نعود الى الكلام عنها في عدد قادم

قال من الفاتحة :

يايقظة تنفض عن مقلتي — اغفاءة طارت وحلماً نأى
ان الضحي صعد انفاسه — علي سراجي فغدا مطفأ
ومن تكن حالته حالتي — لم يستعض بالسيء الاسوأ
ماالفرق في نومي وفي يقظتي — وكل ما في يقظاتي رؤى ؟

شيطان الشاعر :

على الربى استاق شعاع الضحي — يعبث فيه الارج العاطر
فعانق الزهر وضمتهما — غمامة علقها الناظر
غمامة يبنا أراها اذا — شيطان شعري تحتها سائر
كأنه لما بدا خفية — أظهره فوق الثرى ساحر
في فمه من سقر قطعة — منها يطير الشرر الثائر
ووجهه جمجمة راعنى — انيابها والمحجر الغائر
كأنما محجرها كوة — يطل منها الزمن الغابر
اقبل نحوى قائلا انني — طوع لما يقضى به الآمر
اتيت والليل طوي ذيله — فعم صباحاً ايها الشاعر

* * *

قلت لشيطاني : أمن حالق — اتيتني ام من شقوق الثرى ؟
فقال انى جئت من بقعة — خافية تدعونها عبقرا
تسوس فيها الجن عرافة — ترى بزجر الطير مالا يرى
الشعر ولاها شياطينه — فسادت الهوجل والهوبرا
ساحرة مطلسم مسحها — تطوي بها الاجيال والاعصرا
تقفو السعالى اثرها كلما — أججت المندل والعنبرا
جن ، من النور جلابيبها — في كل سعلاة ترى نيرا
تضطرب الارض متي اقبلت — قاذفة عزيفها المنكرا
فقم بنا صاح الى عبقر — نجوس ذاك المجهل الأوعرا

* * *

وانطلق الشيطان في الجو بى — كأنه النيزك او اسرع
مكنت من فقاره قبضتي — مندفعاً اصنع ما يصنع
حتى تهاوى بي الى موضع — ماراقنى من قبله موضع
غمائم زرق علي متنها — منازل جدرانها تسطع
تثور في ابراجها ضجة — بها يضيق الافق الاوسع
فقال هذى عبقر ماترى — وضجة الجن الذى تسمع
عزت على الانس فمن حولها — ابالس الابراج تستطلع
انحاؤه الاربع مرصودة — تحرسها الزعازع الاربع
ما افلت الانسى من زعزع — الا تلقى صدره زعزع

الشهوة :

جنية تمعن في وثبها — كأن شيئاً حولها راعها
حلتها كالضوء شفافة — عن بشرة تزيد اشعاعها
كأنما الشمس التى كورت — من حلقات النور اضلاعها
القت الى الارض بما أبدعت — ليكبر العالم ابداعها
ان بسطت ذراعها احجمت — ملتاعة تود ارجاعها
ثم اراها وهى مأخوذة — تطوى ، على ما الارى ، باعها
من عالم الاجساد مبلوة — بنهمة تود اشباعها
لشهوة في نفسها طاردت — في ظلمة الادغال اتباعها
تعانق الارواح حتى اذا — خابت مضت تحمل اوجاعها

شفيق المعلوف

« عكاظ والمربد — بقية المنشور على صفحة ٢٥ »

واستغنوا بالأسواق بمكة وبمنى وبعرفة .... وآخر سوق خربت سوق حباشة خربت سنة ١٩٧ أشار فقهاء أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها فخربها وتركت الى اليوم (١)

فعكاظ عاصرت العصر الجاهلى الذى كان فيه ما وصل الينا من شعر وادب ، وجرت فيها أحداث تتصل بحياة النبي صلى الله عليه وسلم قبيل مبعثه ، ومهدت السبيل قبيل الاسلام لتوحيد اللغة والأدب ، وعملت عل ازالة الفوارق بين عقليات القبائل ، وقصدها النبي صلى الله عليه وسلم يبث فيها دعوته ، وعاصرت الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين والعهد الأموى ولكن كانت حياتها في الاسلام أضعف من حياتها قبله ، وبدأ ضعفها من وقت الهجرة لما كان من غزوات وحروب بين مكة والمدينة أو بين المؤمنين والمشركين ، فلما فتحت الفتوح رأى العرب في أسواق المدن المتحضرة في فارس والشام والعراق ومصر عوضا عنها ، ثم كانت ثورة أبى حمزة الخارجى بمكة فلم يأمن الناس على أموالهم فخربت السوق ، وختمت صحيفة لحياة حافلة ذات أثر سياسى واجتماعي وأدبى .

« يتبع »

(١) أخبار مكة للازرقى ص ١٣١ و ١٢٣



من الادب التركى الحديث

بين صديقين

من ريف الاناضول الى خمائل الاستانة

للكاتب الاجتماعى يعقوب قدرى

من يدرى مدى الحيرة التي تنتابك ، والدهشة التي تستولى عليك، حينما يقع بصرك على امضائي فى آخر هذه الرسالة ؟

فقد انقضت أعوام وانا لم أكتب اليك حرفاً ، وانت لم تخط الى سطرا . ولا ريب انك ستجد في صوتى الذى اخترق حجاب هذا الصمت الطويل ، رجعاً لصدى غريب من اصداء ما وراء الطبيعة . وهل أنا — والحق يقال — إلا رجل يخاطبك من وراء الطبيعة ويناديك ؟؟

ان هذه الحرب الطاحنة ، والفوضى الجارفة ، قد بدلتا كل شيء ؛ حتى اصبح كل من خرج منهما سالماً ذا أنبــاء وأخبار كانما هو باسرار القيامة عالم ، وعلى أدوار ما قبل التاريخ واقف .

أن هذه السنين الخمس من أعمارنا مملوءة بحوادث خمسة عصور فالأشياء التي كنا نعلمها ، والملامح التى كنا نعهدها ، قد أصبحت غريبة عنا ، ليس لنـا بها من عهد . وأنا اليوم لا أجد فى نفسى القــدرة على أن أتذكر أيام الصبي التى كنا نقضيها مجتمعين ، والكتب التى كنا نقرؤها مشتركين ، والأعمال التى كنا نقوم بها متعاضدين ، والخيالات التى كنا نبني عليها سعادتنا متفائلين ، وكل ما استطيع ان أتذكره اننـا لم نكن فى تلك الأيام أسعد بالا ولا أحسن حالا منا فى هذه الأيام .

وأنا اريد ان اوضح هذا لنفسى بنفسى فلا أوفق ، فيخيل الى الآن اننى كنت بانشاد الشعر مشغوفاً ، وانك كنت بالرسم مفتونا ، فنى السنة الأولى من عهد الانقلاب ، كنت أنا فى عالم الآداب شاعراً معروفا بعض المعرفة ، وكنت انت فى عالم الصناعة النفيسة رساماً مشهوراً بعض الشهرة ، واننا كنا أكثر رفاقنا اهتماما بالملبس ، واكتراثا للمسكن ، واحتفالا بالمأكل : فكنا نقضى ايامنا بالذهاب الى المآدب الفاخرة ، أو بالسعى فى ترتيب الملاهى الساهرة .

على اننى اتذكر أن شهرتنا الصغيرة ، وثروتنا التى كانت تمهد لنا السبيل الى رغباتنا ، والأعجاب الشديد الذى كان يظهره رفاقنا بنا ، كل ذلك لم يكن ليروى ظمأ نفوسنا الصادية ، ولا ليطفىء حرارة قلوبنا المتأججة . وكنا اذا ما انفردنا بانفسنا نتشاكى ما يجول فى خواطرنا من رغبات ، وما يختلج فى ضمائرنا من نزعات : فلطالما كنا نحتقر محيطنا وبيئتنا ، ونشمئز من عالمنا وإقليمنا ، فكانت ضالتنا المنشودة ، أوربا ....

وكنا حين نسير فى الشوارع ، اذا تطاير الى أثوابنا الوحل ، أو تناثر على احذيتنا الغبار ، اشمأزت نفوسنا ، واكفهرت وجوهنا ، وزفرنا زفرة وصحنا : « هل يستطيع الأنسان أن يعيش فى هــذه البلاد ؟! »

وأخيراً ذهبت انت الى روما ، وانا الى باريس . ولكن يخيل الى أن تلك الرسائل التى كنت ترسلها الى من روما ، وأرسلها اليك من باريس ، كانت مملوءة بنفس الشكاوي ، مغمورة بعين الأحزان .

فكنت تقول : « ان مظاهر الصنعة الباهرة ، ومشاهد الفن الساحرة ، لا تكفى لترويح روحى المعذبة ، وتسكين نفسى المضطربة ، وبالرغم من وجودى بين الجدران ، وتحت السقوف التى زينها (ميخائيل آنجلو) و (رفائيل) بريشتهما البديعة ، فانني منقبض النفس ولهان ، مشرد الفكر حيران ، وان ذلك السجين الذى يحبس فى الأقبية الضيقة ذات الهواء الفاسد ، والحلك الدامس ، لايعرف معني القسوة والشــدة ، مثل ما اعرف ، فما الذى أريد ، وعم أبحث ؟ ... »

هكذا كنت تقول ، وكنت أجيبك : « أجدني في هذه المدينة الكبرى وحيداً ، أرجو السلوان فلا أجده ، والتمس العزاء فلا القاه . فمن أنا بين هذه الجموع الغفيرة ، ومن يدرى بي ؟ فان الجنون والخبال كادا يخالطاني لولا كتبي التي كانت تعيد الى نفسى الأمل والتفاؤل بين الفينة والفينة ! »

لم يمض زمن طويل ، حتى عدنا ادراجنا الى الأستانة ، فكنت أنت قد سئمت الرسم ، وكنت انا قد تركت الشعر

فكنت أقول : « قد قيل كل شيء ، وشعر بكل شيء ، فما الفائدة من ترديد الأقوال التي مجتها الأذواق ، وتكرير الاحساسات التي نفرت منها الأسماع ؟ ؟ »

وكنت تقول : « ما الذي يرسمه الأنسان ويصنعه ، بعد أن رأى جدران كنيسة (سيكستين) المزخرفة البديعة ، وسقوفها الملونة الجميلة ؟ فيجدر بالرسام إما أن يكون فناناً كآنجلو ، وأما أن يترك الرسم لأهله » .

وكانت الحياة تمتد امامنا وتنبسط ، ونحن نسير يمنة ويسرة كالتائه في البادية القفراء التي لاحد لها ولا نهاية .

فكنا في وطننا وبلدنا ، وبين اخداننا وخلاننا ، مهذارين لاعمل لنا ولا شغل ، نطوف الشوارع حيارى ، ونجول في الأزقة كسالى . وكنت كلما استيقظ من النوم ، افتح عيني وانا في سريرى وأقول : « ياالهى ! كيف أقضى هذا اليوم أيضاً ؟ ! » ، وأئن أنيناً شجياً كأن بين جنبي داء مبرحاً ، وفى أحشائى ناراً ملتهبة ، وهكذا كنت أضيق بالحياة ذرعاً ، واسخط على العالم كرهاً ، وبينا افكر ذات صباح في عثار جدى ، اذ خطر ببالى خاطر لم أفكر فيه من قبل : ذلك هو خاطر الذهاب الى مزرعة أبى ، لعل الهم يسري عني قليلا ، والغم يهجرنى ملياً .

فكنت تضحك منى يا أخى — وأنا أفارق الأستانة ضحكا مشوباً بالألم ، وممزوجا بالحنان ، وتقول : « الحياة الريفية فى الأناضول ؟ ... إن ذلك لبعيد عنك ؛ وسوف نرى !! »

ها قد مضت ستة أعوام ، أنا هنا ! ولا أكذبك إنى تألمت في أوائل قدومى ، فساورنى الهم والشجن ، واستولي على الغم والحزن؛ ولكنى باعدت عن نفسى تلك الهموم ، وشمرت عن ساعد الجد وأخذت أسعى وأتعب ، بعد أن سئمت الحياة المدنية المتكلفة ، وضجرت من العيشة البلدية المتصنعة فملت الى الأرض أفلحها ، والى الحيوانات أخدمها ، والى الزروع أتعهدها . ولم تمض سنة واحدة على مجيئى حتى حولت ذلك البناء الصغير الي قصر كبير ، وتلك البحيرة الكدرة الآسنة التى كانت للجواميس مقيلا ، وللخيول مشرباً ، الى بحيرة صافية الماء ، طيبة الرائحة . وكان يخترق المزرعة جدول أجرد ليس على ضفتيه نبات ولا شجر ، فأصلحت مجراه وغرست على جانبيه أشجار الصنوبر ، فغدا اليوم روضة ذات منظر يملأ العين ، ويبهج القلب . وأن تلك الأراضى الواسعة الجرداء ، والبرارى الشاسعة القفراء ، قد استرجعت حيويتها بفضل السماد والعناء ، فأخذت تدر علينا الحب الكثير ، والرزق الوفير .

وأما أنا يا أخى ! فرئيس (أغا) قرية ، ترانى وانا أجول فى الأراضى ، وأطوف فى البرارى ممتطياً صهوة جوادى ، قابضا علي سوطي ، محمر الخدين ، مخشوشن اليدين ، قد اكسبني العمل قوة العضلات ، ووهبنى الجهد حدة النظرات .

نعم ! أن مسعاى قد اصابه أثناء الحرب بعض الاخفاق ، ومزرعتى قد امتدت اليها يد الاملاق ، وذلك لتلبية الشبان داعي الدفاع عن الوطن ، وكان يجدر بى أنا أيضا الذهاب حيثما ذهبوا ، والتوجه أينما توجهوا ، ولكن الأرض لم تدعنى أذهب ، ولم تتركني أجيب . ففضلت البقاء بين الأطفال والنساء أسعى لسد عوزهم ، وقضاء حاجتهم .

وانا يا أخى ما كتبت اليك هذه الرسالة إلا لتعرف أن السعادة قد توجد فى الأماكن التي لا تخطر على البال ، والمواضع التي ليست بذات جمال ، ولتعلم انها لاتتوافر بالشهرة ولا الثروة ، ولا باالسفاهة والعزلة ، وإنما تتوفر بالعمل المنتج فى الأرياف ، والسعى المتواصل فى المزارع .

فانك إذا كنت لا تزال فى ذلك المكان المظلم الضيق الذي تركتك فيه ، فاسمح لى أن قول أن كل جهد تبذله فيما لا يثمر ضلالة عمياء تبعث القلق والندم ، وكل سعي تقدمه فيما لا ينتج جهالة صماء توجب الخيبة والخذلان ؟

(سورية) الريحانية : (عمر لبسروق)



لامرتين والخريف

لامرتين شاعر رائق الفكر، سليم الأسلوب، رقيق العبارة. وهو واحد من شعراء فرنسا المجيدين في القرن التاسع عشر. وإليه يعزى الفضل في إحياء الشعر الغنائي الفرنسي الحديث.

حياته:

ولد في ماكون، في اليوم الحادي والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٧٩٠. وكان أبوه ملكيا متحمسا. وقد اضطر بعد عهد الارهاب إلى الاعتكاف في ضيعته في بلدة ميي Milly على مقربة من مسقط رأسه ماكون. وهناك شب ونما في أسرة حنون ومناظر طبيعية غاية في الجمال.

وقد ألقيت مقاليد تربيته إلي قسيس كريم كان يحبه للأقاصيص وكلفه بها أثر كبير في لامرتين، حين كتب قصته «جوسلان Jocelyn». أرسله أبوه بعد ذلك إلى كلية ليون ثم الي مدرسة بليه Belley الاكليريكية. وكانت دراسته حتى ذلك الحين ضئيلة تافهة قومها بعد خروجه من المدرسة بمطالعاته العديدة، وبانعامه النظر في الطبيعة، وبجريه وراء الأحلام والخيال.

انتظم عام ١٤ في فرقة حرس الملك لويس الثامن عشر، ولم يتركها إلا بعد «المائة يوم». وفي عام ١٨٢٠ نشر مجموعة من الأشعار باسم «التأملات». وقد لاقت هذه المجموعة نجاحا منقطع النظير، وكان لها أثر كبير في شهرة لامرتين وتوجيه حياته في طريق العظمة والمجد. وفي العام التالي عين كاتما لسر المفوضية الفرنسية بفلورنسا. ونشر عام ١٨٢٣ مجموعة شعرية جديدة سماها «التأملات الجديدة». ثم دخل، بعد ذلك بسبع سنين، (الأكاديمية الفرنسية) وعكف على الرحلة والأسفار فزار بلاد اليونان وسوريا وفلسطين. وكتب عند عودته، سياحة في الشرق.

غير أن الحياة السياسية جذبته اليها فرغب فيها، ومال إليها فرشح نفسه للنيابة وفاز في الانتخاب عام ١٨٣٣ دون ان يكون له آراء أو مبادىء سياسية مرسومة محددة. ثم اندمج شيئاً فشيئاً في صفوف المعارضة. ووجهته أشعاره نحو الاراء الديمقراطية فاستقبلها وحفل بها. ويبدو ذلك جليا واضحا في مؤلفه (تاريخ الجيرونديين) عام ١٨٤٧. وقد ساعد على سقوط الملكية بتمهيد الطريق لثورة يولية ١٨٣٠ التي انتهت بخلع شارل العاشر، وبتنصيب مجلس النواب الفرنسي دوق أورليان (لويس فيليب فيما بعد) ملكا على الفرنسيين. وانتخب لامرتين عام ١٨٤٨ وزيرا للخارجية في الحكومة المؤقتة التي تألفت من الجمهوريين والاشتراكيين حين ملت فرنسا حكم فيليب، إلا أن لامرتين أضطر الى اعتزال السياسة والعودة إلى الحياة الخاصة بعد أن حل لويس نابليون المجلس وشتت أعضاءه عام ١٨٥١.

وقد كانت كهولة لامرتين محزنة اذ اضطر، تحت عبء الحاجة للمال، الى الانقطاع الى الانتاج العاجل المهين لعبقريته والقاتل لذكائه. وقضى في الخامس والعشرين من فبراير عام ١٨٦٩ بعد ان باع اكثر عقاره الموروث.

شعره:

هو شاعر عظيم ولكنه ليس بفنان موهوب، هو «هاوي الشعر» كما يقول هو عن نفسه. وهو لا يستطيع حين يعوزه الوحى والالهام ان يفعل مثل غيره من الشعراء فيلجأ الى كفاءته ومقدرته في الصياغة والتاليف ليسد بها حاجته وليشبع بها رغبته. غير ان مجموعة اشعاره الاولى «التاملات» تكفي من غير شك لان تجعل من لامرتين شيخا للشعر الفرنسي الحديث. وقد ساعد على ذلك ان مجموعته الشعرية هذه تضمنت كل الصفات الغنائية التي فاتت شعراء القرن السالف الذين كانوا ينظمون أشعارا موسيقية في كل الموضوعات دون ان يفيضوا عليها شيئاً من ارواحهم. أما لامرتين فينشدنا ما أحس، من فرح أو حزن، ومن سرور أو ألم، ومن راحة او وصب

وعبقرية لامرتين فى مرونة اشعاره وتنوعها وفى تعبيرها لدقيق عن العواطف السامية والافصاح عنها الافصاح كله

وهو شاعر الطبيعة . عرف روح الاشياء وكنهها دون ان يتجشم مرة محاولة تصويرها وتلوينها ، وهو يحب على الأخص ساعات الغسق وفصل الخريف الذى تمتزج بمظاهره الاخيلة والاوهام فى رقة وعذوبة . وهكذا يتلاشى فكره ، الذى ليس له من غاية محدودة ، فى سحابات مبهمة عديدة ، وهو بعدذلك يعرف كيف يستخلص لنا منها فكرة ويفصح عما يجول فى خاطره في موسيقى عذبة جذابة .

وقد بلغ لامرتين بوضوح الاسلوب وصفائه، وتوافق نظمه وايقاعه — وهما خلتان لازمتان للكاتب — درجة لم يبلغها شاعر قط. وقد ابدع لامرتين - دون تكلف أو جهد او صقل - فى نظم اشعاره وترقيقها وتنغيمها . غير ان البساطة والسهولة اللتين نظم بهما اشعاره اساءتا اليه من حيث لايدرى . فقد جعلتاه عرضة للسهو واستعمال العبارات المبهمة الغامضة ، والقوافى النابية الركيكة وذلك نجده بوضوح حتى فى القطع الجيدة القليلة من شعره .

مؤلفاته :

كتب لامرتين ، غير اشعاره الغنائية التى اشهرها « التأملات الشعرية» و« التأملات الجديدة» اشعارا أخرى قصصية وفلسفية نذكر منها «موت سقراط» و«جوسلان» و« سقوط ملاك» . هذا الى مجموعة من المذكرات والقصص مثل « رحلة فى الشرق» و«روفائيل «جرازيلا» . وقد كتب ايضا فى التاريخ «تاريخ الجيرونديين» ولم ينس فى أخريات أيامه ان يكتب « دروسا عامة فى الادب » .

والقطعة التي اعرض لترجمتها اليوم هى قطعة من مجموعة اشعاره التأملات الاولي . وقد كتبها فى خريف عام ١٨١٩ . ولم تكن حالته الصحية وقتئذ على حال من الثبات والاستقرار . فقد كان نهبا لشتى آلام وعلل . هذا الي صدمة تلقاها من قبل ، اذ رفضت خطبته الآنسة ماريان اليسا بيرسن الانجليزية التي أصبحت له فيما بعد زوجة . وهو يشير فى الفقرة السابعة الى هذا الامل الضائع .

وقد اوحى بها الى لامرتين نوبة حادة من الحزن والكمد وقد صار موضوعها من الموضوعات التي يتميز بها شعر جماعة (الرومانتكيين) . فالخريف ؛ صورة من الفناء والموت ، يحمل بين طياته الحسرة والندم على السعادة الذاهبة .

وقد كتب فى هذا الموضوع نفر من الشعراء الانجليز والفرنسيين الا أن لامرتين أسبغ عليه فيضا من التعبيرات الدقيقة استخلصها من حس رقيق وخيال واسع وقريحة خصبة . قال :

— ١ —

سلام عليك ايتها الخمائل المكللة بفضلة من الخضرة ! ويا ايتها الاوراق المصفرة المتناثرة علي العشب ، سلام عليك أيتها الايام الاخيرة الجميلة ! ان حداد الطبيعة يلتئم والمى ، ويتفق ومشاربى .

— ٢ —

وهأنذا اسير فى الطريق المنعزل حالما مفكرا ، ويحلو لى ان ارى ثانية وللمرة الاخيرة الشمس الكاسفة ، وقد أخذ شعاعها الواهى الضئيل يكشف الطريق بعد لأى لقدمى وسط ظلمة الخمائل الحالكة

— ٣ —

حقاً انى اجد فى لحاظ الطبيعة المحجبة حين تقضى في ايام الخريف جاذبية وسحرا ، انها وداع صديق ، بل هي ابتسامة لشفتين سيلجمهما عما قريب الموت الى الابد .

— ٤ —

وهأنذا وقد شارفت أفق الحياة ، ما زلت اتلفت وانا ابكى امل ايامى الطويلة المتلاشى ، وانعم نظرى فى حزن وحسرة فى محاسن الحياة التي لم اتمتع بها بعد .

— ٥ —

يا ايتها الغبراء ، وياشمس ، وياوديان ، و يا ايتها الطبيعة الجميلة الحلوة ، اني مدين لكن بدمعة وانا على حافة قبرى ! ما اعبق النسائم بالعطور ! وما انقى الضوء ! وما اجمل الشمس فى نظر المحتضر !

— ٦ —

كم أود الآن ان استشف هذه الكأس وقد امتزج فيها الرحيق بالمر . فلربما تبقى لى فى هذه الكأس التى اتناول فيها الحياة ، قطرة من الشهد

— ٧ —

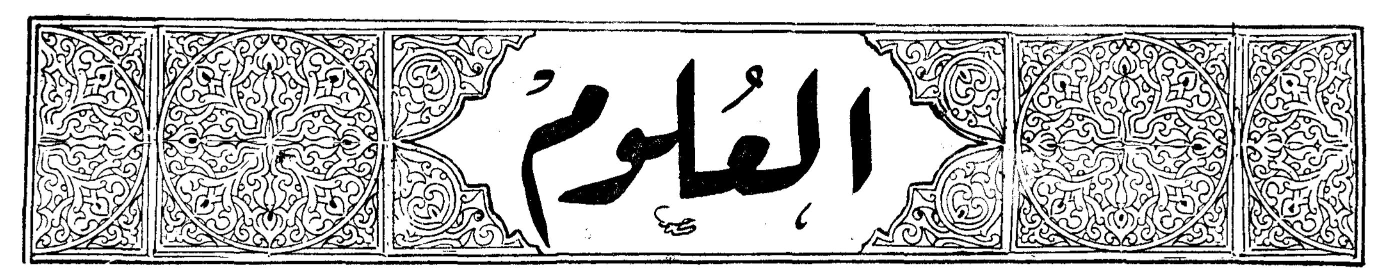
ولربما اخفي لى المستقبل ايضا فى ثناياه أوبة لسعادة ضاع الأمل فيها ! ولربما تفهم نفسى ؛ من بين الصفوف ، نفس اجهلها فتجيبنى !...

— ٨ —

تسقط الزهرة تاركة عطرها للريح الدبور ، وهذا وداعها للحياة وللشمس . وهأنذا اموت ! وروحى حين تفيض تتصاعد كرجع صوت حزين شجى

محمود فهمى ادريس
ليسانسيه فى اللغة الفرنسية وادبها

(الرسالة) نشرنا هذه المقالة تشجيعا لشبابنا الناشئين فى الادب ولعلهم قبل أن يفكروا فى الكتابة يستكملون أداتها الضرورية من نحو وبيان، فان اهمال ذلك شر ما يؤاخذ به الكاتب .



الاشعاع

للدكتور احمد زكي

وكيل كلية العلوم

الاشعاع من أظهر ظواهر الوجود وأهم حادثاته الدائمة ، تجده فى المثل الصغير الحقير ، كما تجده فى المثل الهائل الكبير ، فالشمعة يحترق دهنها فيشع من احتراقه نور مضطرب ضئيل ، يجهد ان يبدد من ظلمة الليل ما استطاع حتي يتبدد هو ، والنجوم تتوقد في السموات العُلى فتشع فتبعث فى القبة الموحشة السوداء روحا وتبعث فيها جمالا ، ويتأجج هذا التنور السيار الهائل ، تلك الشعلة الدوارة الابدية التى اسميناها الشمس ، فتشع علينا بالنور والدفء ، وبالهدى والحياة

هذه أمثلة للاشعاع معروفة مألوفة ، لأن العين تراها ولكنها ليست كل ما فى الوجود من ذلك . ففى غير المألوف اشعاعات كثيرة لا تراها العين كشفها العلم . فالاشعاع اللاسلكى مثل حادث قريب الوقوع لا يزال يملأ قلوبنا بالاعجاب ، ورءوسنا بالفكر والتأمل والحيرة ، ولكنه ليس الا بعضا من كل ، ومثلا من مثل تحدث ظواهر بينة الخلاف شديدة التغاير ، وهى على شدة تغايرها وظاهر تناكرها وتعدد أسمائها حبات فى عقد واحد ، وحلقات فى سلسلة مطردة ، وأفراد من أسرة واحدة ، تختلف سمة وتقاسيم ولونا ، ولكن تحت هذا الظاهر المضطرب باطن مستقر تلتقى جميعها فيه ، وتتوحد جميعها عنده . ولكل شعاع من تلك الأشعة حكاية رائعة ، وأحدوثة جميلة تنطق عن صبر للانسان لا ينفد ، وعن حيلة لا تعرف الخيبة ، لا فى استكشاف تلك الأشعة فحسب ، بل فى إلجامها وركوبها وتأنيسها حتي تكون ذلولا طيعا لا تنفر إلا اذا أراد الانسان منها النفار ، ولا تبطش الا حين يريدها على البطش

تناول السير اسحق نيوتن أظهر أنواع الاشعاع بالبحث فأمرّ أشعة الشمس فى منشور ثلاثى من الزجاج ، فبدل أن تخرج بيضاء كما دخلت ، خرجت خليطا من اضواء عدة ذات ألوان عدة . فاعاد تجربته ثم أعاد فخرج على أن ضوء الشمس الابيض مزيج من عدة أضواء ، أي أن اشعاعها وأن ظهر متجانسا خليط من جملة اشعاعات مستقلة الحدوث . وأسمى هذا المزيج بالطيف ، فكان هذا هو الحجر الاول فى بناء علم الاشعاع الحديث

وانتقل الانسان يسأل نفسه بعد ذلك : وكيف تسافر أشعة هذا الضوء ؟ قال نيوتن انها تسافر فى خطوط مستقيمة ، وقال بنظريته المعروفة وفسر بها بعض الظواهر الضوئية كالانعكاس ، وبالتدرج أخذ عقل الباحثين يقتنع بالشبه الذى بين سفر الضوء على متن الفضاء ، وسفر الامواج على متن الماء ، حتي اهتدوا الى اثبات أن اضواء الطيف انما اختلفت ألوانها من الاحمر الى البرتقالى الى الاصفر الى الاخضر الى الازرق الى النيلى الى البنفسجى لاختلاف فى الطول بين موجاتها ، واهتدوا كذلك الى ان الضوء الواحد ذا اللون الواحد اذا ضعف أو اشتد فانما يحدث ذلك لضعف الموجة أو اشتدادها ، أعنى زيادة ارتفاعها وانخفاضها ، او نقصهما عن مسارها المستقيم فى الفضاء ، وان شئت فسم ذلك اتساعها ، اما طولها فثابت لا يتأثر ما بقى اللون على حاله ، فان تغير طول الموجة تغير اللون ، فاللون الاحمر أطول موجة من البنفسجي ؛ ولو انك

وقفت فى مسار هذين اللونين وعددت موجات الاحمر التى تمر عليك فى ثانية ، وعددت مثال ذلك من البنفسجى لوجدت عدد موجات الاحمر أي ذبذبته اقل لطول موجتها من ذبذبة البنفسجى . وخرج العلماء من هذا كله بان الشعاعة تتعين وتتحدد بذبذبتها وبطول موجتها وبسعتها

بعد ذلك تساءلوا عما يحمل موجة الضوء من مكان إلى مكان . موج البحر يحمله الماء . وتهز الحبل فتسير فيه موجة تبتدىء من حيث مسته يدك وتنتهي حيث ربطته من الحائط . فالحبل أو كتانه هو الذى حمل موجته . فاى مادة حملت موجة الضياء حتي أتتنا من الشمس والقمر والكواكب ؟ ليست هي مادة الهواء ، فانما الهواء غلاف كقشرة البرتقالة يلف الأرض ولا يصعد إلا أميالا نحو السماء ، وليست هي مادة مما نعرف من المواد ، بل ان الضوء يسير في الفراغ ، فان الانابيب المفرغة بالمعني الذى نفهمه لا تعوق الضوء في انسيابه . ولكن الموجة طاقة متنقلة ، والطاقة لا بد أن يتقمصها شيء . فما هو هذا الشيء الذى عجزت حواسنا الموهوبة عن ادراكه ، وآلاتنا مهما دقت عن كشفه ؟ والآلات كثيراً ما بصرت بما عميت عنه العين ، وسمعت ماصمت عنه الاذن ، وناءت باثقال توافه لا تحفل بها اليد . ما هو هذا الشيء المعدوم فى وجوده ، الموجود فى عدمه ؟

أن هذا الشيء معدوم عند العقل العادى الذى لا يؤمن إلا بالذى يراه ، ولكنه موجود عند العقل العلمى الذى يتخذ من الآلات حواس جديدة فوق حواسه الخمس ، ويتخذ من حقائق العلم وتجارب العلم وماضى العلم وحاضره ومآسيه ومفارحه دروسا وعبراً ، ويتخذ من التفكير العلمى وحواره وحجاجه واستنتاجه منطقا جديداً غير منطق الشراب والطعام والملبس والمركب . موجود عند ذلك العقل العلمى الذى لبس جناحين من ذكر للماضى عاصم من خدعاته ، وثقة جريئة في المستقبل لاتعرف إلا الامكان ، يطير بهما فى مجاهل لا يغني فيها السمع والبصر ، ومفاوز علي حدود البشرية أشبه بالمعانى منها بالمباني ، وبالارواح اللطيفة منها بالاجسام الكثيفة ، هذا الشيء الذي لابد أن تسير فيه موجات الضوء موجود عند ذلك العقل العلمي بالرغم من ظاهر انعدامه ، منظور بالرغم من خفائه ، ملموس ولو افلتته الاصابع . واذن فلا بد له من اسم . فأسموه الاثير . وما مادته ؟ لست أدرى ولا المنجم يدرى . وما خواصه ؟ لا يعرفها حتى الذى أسماه . سئل الاستاذ أوليفرلودج العالم الطبيعى المعروف عن تعريف له فقال فى كلمات ثلاث : هو شيء يتموج . وان كان لابد لك من تعريف فقل انه شيء له من الخواص ما يأذن بانتقال موجات الضوء فيه علي نحو ما نعرف وفقا للقوانين التي نعرف ، والسرعة الهائلة التي نعهد . فمثلا نعرف ان سرعة الموجة تتوقف على كثافة المجال الذي تنطلق فيه ، ونعرف ان الضوء فى سيره يقطع في طرفة العين ولمحة الخاطر مسافات يصعب على خيال المرء تصويرها ، فنستنتج من هاتين الحقيقتين ان الكتلة التي في سنتيمتر مكعب من هذا الاثير لابد ان تكون هائلة المقدار

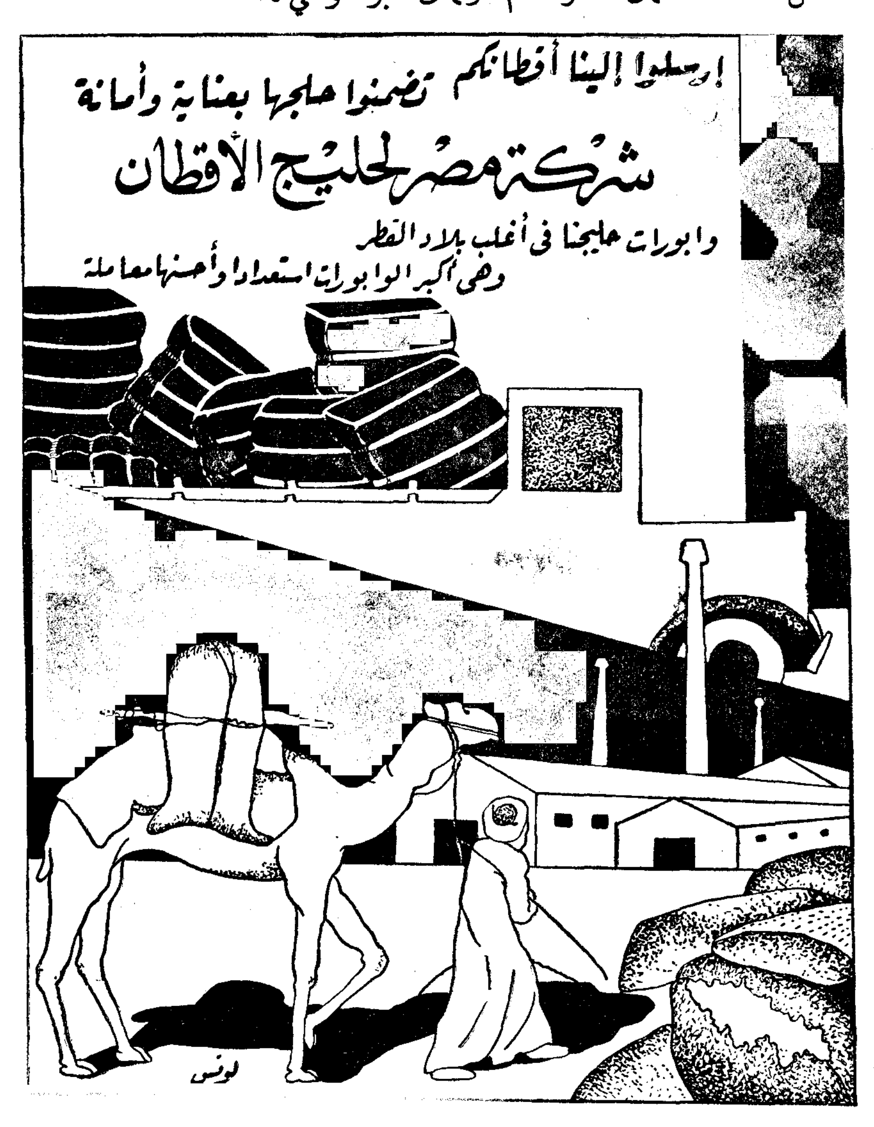
وبعد أن درس العلماء الوان الطيف وهو كالسلم بدرجاته السبع ، أسفلها الاحمر وهو اطولها موجة وابطأها ذبذبة ، واعلاها البنفسجى وهو اقصرها موجة واسرعها ذبذبة ، أخذوا يبحثون عن موجات أسفل من الاحمر واطول منه موجة ، وعن أخرى أعلى من البنفسجى واقصر منه موجة ، فهدتهم التجارب الى صدق ماحدسوا : الى موجات دون الاحمر وهي الموجات التى تنتقل بها الحرارة من بين ما تنتقل ، والى موجات فوق البنفسجى وهي موجات ذات خواص كيميائية تستخدم فى التصوير الشمسى ، وأمرها الآن معروف ومشهود ، وكلا هذين النوعين من الاشعاع غير منظور ، فالعين لاترى إلا سلم الطيف بدرجاته السبع

وأحس الطبيعيون بان شعاعات أخري لابد موجودة فيما دون الاحمر غير التي اكتشفت ، فأجرى العالم الطبيعى « هرتز » تجاربه فكشف بها عن موجات جديدة غير مرئية وجدها شبيهة بموجات الضوء والحرارة ، إلا انها اكثر طولا واقل ذبذبة ، وسميت باسمه . وفى الناحية الاخري فى أعلى السلم اكتشفت موجات غير مرئية أخرى قليلة الطول كثيرة الذبذبة ، سميت بالاشعة الكهربائية المغنطيسية ، ثم تلتها الاشعة « السينية »

المعروفةباشعة « أكس » وقد أفادت الطب اكبر فائدة وهى تنفذ فى الرصاص الى نحو من خمسة سنتيمترات

واليوم نتحدث عن الاشعة « الكونية » Cosmic التى صعد الاستاذ منطاده فى بالونه المشهور الى طبقات الجو العليا فى طلبها ، وتحدثت عنها وعنه الجرائد منذ اشهر قليلة . وهذا الاشعاع الجديد لا يتوقف انبعاثه على الكرة الارضية التى لنا الحظوة بالعيش عليها ، فهو ينبعث صباح مساء فى الصيف والشتاء غير آبه لنا أولها ، وينبعث حاملا طاقة واحدة لا تزيد ولا تنقص ينفذ بها فى الرصاص بضعة امتار وفى الماء نحو الثمانمائة من الاقدام . ما أثر هذه الاشعة الجديدة اكتشافا ، الازلية مولداً ، فيما على الأرض من حياة ؟ ما اثرها فى حياة النبات والحيوان وفى حياتنا نحن وارثى الأرض وما عليها ؟ يقول الاستاذ السير جيمس جينز ان هذه الاشعة تحلل فى الثانية الواحدة ملايين الجزئيات من اجسامنا . ان كان هذا حقا فما أثقل النعاس الذى كنا فيه حتى نمنا كل هذه القرون والاجيال عن أمر له هذا المساس القريب بذواتنا . وياتري كم من امواج اخرى فى هذا الفضاء تعمل فينا وفى اجسامنا وفى ارواحنا ، ونحن عنها غافلون . وهل ياترى سنجد فى هذا النوع من الاشعاع تفسيراً لبلى الجديد وشيخوخة الشباب وفناء الحى

أذكر من سنوات عدة كلمة للسير اوليفر لودج لا أنساها إلا اذا نسيت حضرته الرائعة ، تروعك منها قامته الطويلة وكتفاه العريضان ورأسه العظيم يطل عليك من فوق جسمه الكبير مجللا بالشيب، ولحية وفورة بيضاء صافية كصفاء ايمانه، وعينان وادعتان تنظر اليك منهما حقب من الزمان امتلأت علما وفكراً فى مبنى الوجود ومعناه . كان يحاضرنا فى جمع حافل أتى يستمع للعالم الشيخ ، فساقه ختام المقال الى عفو من الكلام قال : « انا هنا واقف بينكم فى القرن العشرين فى قاعة مملوءة بانواع عدة من امواج عدة (يقصد الامواج اللاسلكية) منبعثه فى اتجاهات عدة وكلنا صموت نتسمع ولكننا لانسمع شيئا . ولكننا جميعا برغم ذلك مؤمنون بوجودها . ولو انى وقفت بينكم هذا الموقف فى القرن الغابر احدثكم عن هذى الامواج لقلتم خرف اصابه مس الكبر . الفرق بين الموقفين فرق بين الزمنين ، ذلك انى اليوم استطيع ان اعيركم هذه الاذن الجديدة (وأشار الى سماعة اللاسلكى التي تلتقط الامواج) تسمعون بها ما عجزت عن سماعة آذانكم ، ثم دار الاستاذ بعينيه فى ارجاء الحجرة الواسعة فى صمت وبطء كأنما يستوحى جدرانها ثم قال: « ليت شعرى كم بهذه الغرفة الآن من أمواج غير التي نحن بصددها ، وليت شعرى أى الآذان يبتدعها الانسان لادراكها ، وليت شعرى متى يكون هذا ... وانى ، وأين ؟ ثم صمت يفكر وصمتنا ننتظر . فقال « ما الخاطر يرد لي ولك فى آن وبيننا الاقطار العريضة والبلاد الواسعة ؟ ما النذير يأتى قلبي وقلبك بالشر فيصدق حينا ويكذب حينا ؟ ما الايحاء ؟ ما الوحي؟ ، وفنيت جملته في تمتمة لم نسمعها ، ورسمت يمناه فى الهواء دوائر كأنما كانت تستكمل له رأيا لم يبح به أو فكرة وجد من الكياسة لا يذيعها ، أو لعله الهام جاءه على غير احتساب فشاء أن يتذوقه فى مخدعه فرداً قبل أن يكون للجماعة شأن فيه . وفى العلم الهام كما فى الشعر الهام ، وكما فى النبوة وحي ؟





قصة مصرية

دموع بريئـــة

للاستاذ محمود الخفيف

غرفته فتى فى الثامنة عشرة ، طويل القامة فى غير إفراط ، نحيل الجسم فى غير هزال ، مهيب الطلعة فى غير تأنق ، حلو الحديث فى غير تـكلف ، ولست أذكر وقد مضى على تعارفنا نحو ستة أعوام ما الذى جذبني اليه حينما رايته لأول مرة ، حتي لقد امتزجت روحي بروحه ، أهو هدوؤه و رزانته أم نشاطه وهيبته ؟ وكل ما أتذكره الآن هو انى رأيته فاحببته ، ولشد ما ابهج نفسى أن رأيته يحس نحوى ما أحس نحوه ، فما هى إلا أيام حتى توثقت عرى المودة بيننا ، واستحكم الوفاق بين قلبينا ، وصار كلانا يأنس بصاحبه ويهش للقائه ، ويحرص على رضائه .

ولما عاشرته وتبينت خلاله ، أعجبنى منه أدبه الجم ، ووقاره العاقل ، وقلبه الرحيم ، وأكبرت منه نظراته الهادئة ونفسه المتوثبة ، وعواطفه الثائرة ، وشبابه المرح ، وروحه الجذابة .

وتبينت فيه شاعراً يقدس الجمال ويعشق الطبيعة فى خيال خصب ، وذهن متوقد ، وحس دقيق ، كما تبينت فيه على حداثته فيلسوفا بعيد النظر ، دقيق الملاحظة ، حلو الفكاهة ، عذب الروح ، ورأيته مشغوفا بالحياة مقبلا عليها قانعا بحظه منها ، راضياً عن نفسه ، غير ساخط على أحد .

ولقد جعلنى منذ أن تعارفنا موضع سره ، يحدثنى فى غير تحفظ ويجد عزاء طيباً فى أن يبثنى لواعج نفسه وخطرات حسه ، كما يجد هناء سائغاً فى ان أشاطره مسراته وأسباب سعادته .

وكان حديثه تارة حزينا يستدر الدموع ، وتارة بهيجا يملأ جوانب النفس سروراً وغبطة ، وكان يقص على مشاهداته فى الحياة ، غير انه كان يشفعها بآرائه أو يمزجها بخواطره فيكسبها بذلك قوة تحرك القلب وتستثير العواطف . وكنت أحرص على أحاديثه إذ أرى فيها خواطر فتى كبير القلب راجح العقل .

غاب عنى شهراً فاشفقت أن يكون قد مسه الضر ، وأردت أن أذهب اليه ، ولكن الخادم أحضر إلى كتابا تبينت خطه على غلافه ، ففضضته فى شغف فاذا به يخبرنى أنه سيكون عندى فى المساء ،

ومرت الساعات ثقالا حتى كانت الثامنة ، فاذا هو يطرق الباب ، ثم يفتحه في هدوء . ودخل علىّ شاحبا مكدوداً واجما مهموما . ومد الى يده وكانه قرأ فى وجهى إشفاقي وتلطفي ، فابتسم ابتسامة قصيرة ، ثم جلس وقد اتكأ بمرفقه على حافة المقعد ، وأسند رأسه الى قبضة يده ، وشملته كآبة مرعبة دق لها قلبي ، فانا أعرفه ثائر العواطف واسع الرحمة يستوقف بصره بكاء بائس فتدمع مقلتاه ، ويطرق اذنه أنين ملتاع فيملك عليه مشاعره ، وكثيرا ما أظهرت له إشفاقى فكان يضحك منى قائلا : لاحيلة فى ذلك فتلك جبلته ، ولقد كان يتهم نفسه بالطفولة ، ولكنه كان يعود فيفتخر بهذه الطفولة التى تملأ قلبه رحمة وحنانا .

وأطرق قليلا ، ثم رفع رأسه وقال وهو يضحك ضحكة غريبة ، تعبر عن الأسى والألم :

ــ هو شهر ، ولكنه قرن فى حوادثه ــ

وتالله لقد ألهب شوقى بتلك العبارة فاصخت بسمعى اليه ، وأقبلت بكليتى عليه ، وفهم هو من نظراتي أني أستعجله ، فهز رأسه هزة عصبية وقال :

لله ما أغرب هذا المسرح الهائل . مسرح الحياة الذى يموج بالناس فى غير نظام ، وكل يلعب دوره حتى يسدل الستار عليه فاذا هو فى طى الفناء وفى أغوار الابدية . هذا ضاحك مستبشر ، وهذا فرح فخور . وهذا بائس محزون ، وهذا حائر مشدوه ، وهذا ضعيف مستسلم ، وهذا مغتر متطاول ، وهذا ... وأخيراً يتساوى الجميع فيساقون فى سكوت كل الى حفرته .

قلت أمرك عجب أيها الصديق ، وهل هذا ما يحزنك هذا الحزن ؟ لكأني بك قد اجتمعت فيك كل هذه الصور . ماذا احزنك وعهدى بك مرحا خلى البال ؟

وتنهد الفتى تنهداً عميقاً وقال :

ــ على هذا المسرح المرعب أو قل فى زواياه التى لا تراها

إلا الأعين البصيرة، أو التي لا تراها الأعين إلا مصادفة، على هذا المسرح الصاخب المضطرب، وفى هذه الزوايا المتوارية عن الأنظار يوجد من المآسي والالام ما يتفطر له القلب حقاً . . .

وقاطعته قائلا : هون عليك يافيلسوفنا الصغير، وما لك ولهذا الانقباض وأنت فى زهرة العمر ؟

فنظر إلي نظرة لوم وقال :

ــ ما حيلتى وتلك جبلتي ؟ يرانى الناس ضاحكافرحا فيظنون اني خلو من الهموم ، وتالله ما ضحكي إلا خداع منى لنفسى ومغالبة لشعورى ، هو كالزهر الصناعى يغالط به الطفل نفسه . . . ولكن . . . ولكن أراك على حق ، فسأضحك وسألعب وسأنسى كل شيء . . . نعم سوف أضحك مع الضاحكين . . . وسوف لا أبكى بعد اليوم مع أحد أو على أحد . . .

وضاحكته أستطلع دخيلة نفسه وحقيقة أمره فاعتدل فى جلسته وتوثب وتحفز واستجمع قوته ثم قال في قوة وعزم :

هو دور لعبه أمامى وياليتنى لم أره ، ولكن ما أسخف لعبته هذه ! . . ليكن ما يكون وليكن ما قدر وهو كائن .

قلت ما الامر ؟ انك تحيرنى .

فاستطرد في صوت أبح لم أسمعه منه قبل اليوم وقال :

« هن فتيات أربع ، جئن فسكن فى المنزل المجاور لنا ، وكان قبل مجيئهن تسكنه سيدة وابنها وهو فتى فى نحو الخامسة والعشرين ، ولقد تبينت بعد مجيئهن أنهن اخوته ، وكان أول ما رأيتهن فى ظهيرة يوم عند ما عدت الى المنزل ، ففتحت النافذة كعادتي فى كل يوم وإذا بى أراهن أمامى لا يكاد يفصلنى عنهن إلا نحو سبعة أمتار ، وما وقعت انظارهن علي حتى جرين مسرعات الى داخل الحجرة واقفلن الباب من ورائهن ، إلا صغراهن وهى فى العاشرة تقريبا فقد ظلت ترمقنى بنظرات ساذجة بريئة ، وكانها وكانت تجيد « لعبة اليويو » قد أرادت أن تريني مهارتها فأخذت تلعبها وتنظر إلي ، فابتسمت فضحكت ودخلت الى اخواتها صائحة لاعبة .

ومضيت انا الى بعض المجلات فجعلت أقلبها ولكن نظرى كان كثير الاتجاه دائماً نحو هذا المنزل او نحو ذلك الباب ، وأنت يا أخي تعرفنى أحب الاستطلاع ولا أكاد أستقر حتى تصل نفسى الى ما تريد ، فجلست أختلس النظرات وأتظاهر بالنظر الى الصحيفة التي فى يدى ، فرأيت كبرى البنات وهى في العشرين تقريباً قد وقفت الى الباب فرأيتها ذات حظ من الجمال غير قليل ، غير انه جمال شاحب حزين ، ومرت اختها الصغيرة أمامى وهى فى نحو السادسة عشرة تكسو محياها سمرة خفيفة ، وهى فتاة ضاحكة العينين مرحة جريئة النظرات ، سريعة الحركة ، خفيفة الروح الى حد عظيم .

أما وسطاهن فلم تظهر طول ذلك اليوم ـ ولست أدري وأيم الله لم ضايقنى ذلك وكل ما أذكره هو أنى أحسست بانقباض وضيق لعدم ظهورها ، على أني ما لبثت أن ضحكت ، بل وسخرت من نفسى ومضيت الى كتبي ونسيت من أمرها ومن أمرهن كل شيء .

وفى صبيحة اليوم التالى نزلت الى عملى فتبينت وجهها من خلال زجاج النافذة ، جميلة رائعة الجمال ، دعجاء المحاجر ، بيضاء الوجه ، دقيقة الأنف ، حلوة اللفتة ، ناهدة الصدر ، وفى ظهر ذلك اليوم رأيتها واقفة فلم تهرب كعادتها بل رفعت إلي بصرها ، ثم دخلت حجرتها فى هدوء ورزانة .

لا أكتمك يا أخى اني شعرت بميل نحو تلك الفتاة ، كان أول أمره معتدلا عاديا . فقد أعجبنى منها رشاقة جسمها واتزان حركاتها ، وتناسق أعضائها ، وغضارة بشرتها ، وجمال محياها ، وكانت عيناها الدعجاوان ترسلان من أشعتهما حرارة الشباب فتهز قلبي وتفتح جوانب نفسى، حتى لقد صرت أجد في النظر اليها متعة وهناء أشبه بهناء النفس فى حلم هادىء جميل .

غير ان ما جذبني اليها حقا ، هو تلك النظرات الحزينة الهادئة التى كانت تتخلل نظراتها اللامعة القوية ، وتلك البسمات الخفيفة الفاترة التي كانت لا تلبث أن يطفئها وجوم غريب واطراق مؤثر .

وازداد ميلى اليها الى أن كنا صبيحة يوم فسمعت وأنا بين النوم واليقظة نحيبا متقطعا ، ولست أدرى لم انصرف ذهني اليها لأول وهلة ؟ فقفزت الى النافذة فرأيتها ووجهها بين كفيها ، باكية تئن أنينا موجعا ، وأنا أترك لك أن تقدر لنفسك مبلغ ما نالني من الحزن فى تلك اللحظة الرهيبة ، ولقد كدت أن أصيح بها أن كفكفي دموعك يافتاة ، لولا أنها أفاقت سريعا من غشيتها ومسحت دموعها فى هدوء ثم نظرت الى الشمس المشرقة نظرة حزينة ، يهتز قلبى كلما ذكرتها ، ودخلت بعد ذلك الى مخدعها .

ومنذ ذلك اليوم عرفت طعم الألم حقا ، وكانت تتمثل لى صورتها فيكتنفني من الألم اللاذع ما يمزق شغاف قلبي ويحرك كامن وجدى ، ولا سيما وقد تكرر ذلك منها كثيراً فى الصباح أحيانا وفى المساء أحياناً أخرى .

وأخيراً . . . وأخيراً حم القضاء ووجدت نفسى أسير تلك

الفتاة الحزينة الباكية ، ولك أن تعجب مني ماشئت أنا الذي طالما سخرت من الحب وهزأت بالعاشقين ، أنا الذي طالما وصفت لك الحب بأنه حلم من أحلام الشباب الخادعة ، وسراب خلب يحسبه الظمآن ماء حتي اذا جاءه لم يجده شيئا ، أو فورة دما. واضطراب مزاج لا أقل ولا أكثر ، ولكن الانسان ضعيف لايملك لنفسه ضرا ولا نفعا .

ولماذا أحببتها ؟ أهو جمالها الساحر قد ملك على نفسي ، أم هو حزنها العميق قد صادف عطفا وحنانا فى قلبي ؟ ولكن مالى أبحث عن سر حبها ، ومتى كان الحب أمرا يقبل التعليل ويخضع للتحليل ! مالى لاأقول انى احببتها لأننى أحببتها ، ولتضحك بعدمنى ماشئت ، ولكن لم تضحك ؟ أليس الحب تفاعلا نفسانيا أو مزيجا روحانيا ، يأتى بكل سهولة وبغير أدنى ترتيب ؟

أحسست باهتمامي بأمرها واشفاقى عليها ، فكانت تشكرنى بابتسامة عذبة ، وصرت أرى فى عينيها ما يدل على الاعتراف بالجميل ، ولكني كنت لاأرى فى نظراتها مايدل على أنها تبادلنى حبي وتطارحني هيامى ، انها كانت نظرات شكر وامتنان ، وتالله انها كانت تؤلمني أحيانا ، ولكنى كنت في سكرة الحب أعالل النفس بالآمال وأترك للغد القول الفصل والحكم الأخير . ولكن تصرمت أيام دون أن أجرؤ على مخاطبتها ولو بالتحية .

وراقبتها مرة فرأيتها تتأهب للخروج ، وثارت نفسى واعترانى جنون الشباب ، وامتدت يدى الى ملابسى فلبستها دون أن أشعر بشيء أو أدرى ماذا أفعل ، وسرت فى اثرها وان فؤادى ليخفق وان نفسى كلها لتهتز ، الى أن رأيتها تجلس وحدها على حافة قناة صغيرة كانت تقرب من المنزل ، وقد أطرقت قليلا ثم رفعت رأسها فاذا هى ترانى أمامها فساورها مزيج من الدهشة والابتسام والخوف والارتياح والغضب والرضى ، ولست أدرى أني جاءتنى تلك الشجاعة في تلك اللحظة الدقيقة ؟ فقلت فى ثبات :

هل لى يافتاة أن أسألك سؤالا صغيراً ؟

فنظرت الى نظرة عميقة فيها كثير من المعانى ، ويح نفسى انى لأراها الآن ، أرى تلك العينين الدعجاوين ، وتلك التقاطيع الحلوة وذلك الفم الجميل وتينك اليدين الرشيقتين .

قالت وما سؤلك يافتى ؟

قلت : هل لى أن اعرف سبب حزنك وبكائك ؟

فسرت رعدة قوية فى أعضائها ، وتمشت صفرة فاقعة فى وجهها ، وكأنني هززت بذلك السؤال كل كيانها ، وتمتمت بكلمات لم أسمعها ثم قالت :

شكرا لك على اهتمامك بأمرى . لست استطيع ان أجيبك على ماسألت .

قلت ولكننى أريد أن أعرف .

فعظمت دهشتها وبدا على محياها ذهول وخوف ، ثم قالت فى حدة مصطنعة :

وما شأنك أنت والسؤال عن هذا ؟

قلت انى . . . انى . . . أريد . . . أرجو . . .

فساورها الشك فى عقلي فلقد قرأت هذا الشك فى نظراتها ، وحدجتني بنظرة طويلة وقد اغرورقت بالدمع مقلتاها ، ثم أشاحت بوجهها عني فألحفت وتوسلت فقالت :

اليك عني واتق الله فى فتاة ضعيفة بريئة .

قلت لا أستطيع البعد عنك .

ثم انهمرت دموعى فصدقت ، وقالت وهي تنتفض من شدة الاضطراب :

حسبتك أحد أولئك الشبان الذين لاأخلاق لهم ، ولقد هممت أن اصرفك فى قسوة .

ثم نظرت الى طويلا دون أن تتكلم ، فقلت في صوت خافت متقطع : ستكونين لى منذ الآن .

فتجهمت قليلا ثم ابتسمت ابتسامة فهمت من معانيها الندم والحسرة والألم ، وهزت رأسها كأنها تريد أن تقول لى انك لاتدرى من الأمر شيئا ، ثم قالت :

دعنى بربك ، ولا تشغل نفسك منذ اليوم بأمرى فلن يجديك ذلك نفعا ، وستبدى لك الأيام صحة قولى ، وصدق نصحى .

وكأنها ارتاعت لوقع ذلك على قلبي فقالت وهي تبكى :

آه ليتنى أستطيع ! ليتنى أستطيع ! . اتركنى اشكرك على . . .

وغلبها الحزن والبكاء فأجهشت كما يجهش الطفل . فنظرت اليها ولاطفتها ، ثم تناولت يدها فلم تمانع ، ولما أردت أن أجذبها نحوى نهضت قائمة وسارت لاتلوى على شيء ولم تلتفت وراءها ، وغابت عن بصرى فى منعطف ، فبقيت فى مكانى جامدا كالصخر ثائرا مضطربا ، ثم مرت على دقائق افتقدت فيها نفسى وحسى .

ومرت أيام وأنا أتجنب النظر اليها ما استطعت ، أيام كنت اثناءها كالذى يتخبطه الشيطان من المس ، ولقد بلغ من نفسى أنني

كنت أرى الأسرة كلها حزينة كأنهم مقبلون على امر خطير. ولما ضاقت بى الدنيا كتبت اليها اطلب عفوها وأبثها لواعج نفسى. وفى صبيحة يوم جلسن جميعا يبكين حول أمهن وأنا حائر مشدوه لا أدرى من أمرهن شيئا، فناديت البدال فأقبل وهو فتى طيب القلب، فقلت له: أتدرى يافتي سر هذا الحزن؟ وأشرت اليهن دون ان يريننى

قال او ماتعلم؟

قلت كلا.

قال ان صاحب المنزل قد «أوقع الحجز» عليهن وأعقبه بائع الخبز بحجز مثله وفاء لما عليهن من الدين وقد قرب يوم البيع.

قلت وقد دق قلبي دقا عنيفا ـ هل مات أبوهن؟

قال خير لك الا تعرف عنه شيئا ـ ثم قال:

كان أبوهن تاجرا من كبار التجار، وكان عظيم الثراء ولكنه لم يرع النعمة وراح يقامر مرة، ويسرف مرة، ويتعاطي المخدرات بكثرة مخيفة وهو الآن نزيل السجن من سنتين

وارتفع الدم بغزارة الى وجهي وأحسست بحرارة كحرارة المحموم، ومرت غشاوة فحجبت بصري ورأيت الجو بعد برهة أصفر مكفهرا ثم قلت:

وأخوهن؟

قال هو شاب عاطل لايجد لنفسه عملا مع أنه يحمل شهادة عالية. مناه أصدقاء والده كثيرا بوظيفة ولكن أين هي الوظائف الآن؟ وكثيرا ما نصحناه أن يلجأ الى اى عمل حر، ولكن يظهر ان الابواب سدت فى وجهه.

قلت أو لم يتقدم أحد لخطبة البنات من قبل؟

ــ قال بلى. خطبت الكبيرتان ولكن خطيبيهما تركاهما بعد ما جرى لأبيهن ماجرى. ثم سكت البدال برهة وقال فى ألم: ــ مع أن البنت الوسطى ولعلك تعرفها ذات الشعر الأصفر، كانت تحب خطبها لدرجة الجنون

ــ فصرفته ودخلت حجرتي كئيبا ملتاعا وذرفت الدمع سخينا.

وسكت صاحبي برهة ثم قال فى نبرات حزينة: أرأيت كيف يقضى هؤلاء الأغفال على أنفسهم وأموالهم وأولادهم؟ ألا قاتل الله الجهالة! انها أصل الفواجع والآلام. ثم قال دونك فاسمع البقية،

وبدت منه حركة عصبية كانت ظاهرة فى يديه وعينيه وصوته المبحوح وصدره المجروح، قال:

في صبيحة اليوم التالى سمع سكان البيوت المجاورة صراخا عاليا ففتحوا النوافذ فوجدوا الدخان يتصاعد من نافذة المطبخ فى ذلك المنزل، أما أنا فكأنى كنت أعلم بما سيجرى من قبل، فسكت ولكنه كان سكوت اليأس، وتجلدت ولكنه كان تجلد الاغماء. وهرع الناس فدخلوا المطبخ فاذا هى ممدودة على الأرض لاتبدى حراكا، ولم يحترق منها الا شعرها، وقرر الطبيب أن الوفاة بالاختناق. وارحمة لك يا ... حتى النار أكبرتك وأشفقت من أن تلهب هذا الجسد الطاهر، ولكنك جدت بغدائرك الذهبية التى طالما تطلعت اليها الأعين وخفقت لرؤيتها القلوب

وهنا لم يتمالك صاحبي نفسه فاجهش كما يجهش الصبى وناولنى قصاصة من الورق فقرأت فيها ما يلي:

وصلتنى كلمتك الرقيقة ياصاحبي فضممتها الى صدرى وقبلت الخطاب من أجلك، وذرفت الدمع سخينا شفقة عليك. سامحني واعف عني، وسنتقابل فى الحياة الأخري حيث لا شقاء ولا عذاب، وأرجو أن تستغفر لى الله فى صلواتك، الوداع.. الوداع والشكر الجميل!

ولما تلوت تلك الورقة وجدته قد غلبه النوم وطول الجهد فاخذت رجليه برفق ومددتهما علي المقعد وعمدت الى ملحفة فنشرتها عليه، وخرجت علي أطراف أصابعي وتركته لينام عله يجد في النوم بعض الراحة، وسألت الله أن يشفق به فى أحلامه وأن يهبه العزاء والسلوان؟

محمود الخفيف

الى بئر جندلي

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

— ٣ —

لحظة رهيبة مرعبة ، ولولا أن ملك الجماعة زمام عقولهم وتصرفوا بما يستلزمه الموقف من بديهة حاضرة وهمة عالية ، لسقط احمد بك فى الهاوية ، ولا أدرى الآن ، وقد توالت الحوادث بسرعة مدهشة ، كيف نسي الرفاق أن ينتشلوا زميلهم من ورطته ، وعلى كل حال فقد انتهى الحادث بسلام ، وعاد الجماعة الى ما كانوا فيه من مطاردة الأرانب ، وعند الظهر كانوا قد أنهكهم التعب وأضناهم الجوع ، فملوا المطاردة وقنعوا بما أصابوه فى ذلك اليوم وكان شيئاً كثيراً ، فحثوا المطايا في السير كى يصلوا وادى جندلى فى الموعد المضروب .

وكانوا حينئذ يسيرون على ظهر ربوة عالية وعن يسارهم نحو الشمال ، جبل اليحموم الازرق بلونه القاتم ، وعن يمينهم نحو الجنوب جبل ابو شامة بقمته العالية (٢٣٠٠ قدم) ، وكانوا كلما توغلوا شرقا تغيرت معالم الجبال وزادت ارتفاعا ، والأودية خضرة وعمقاً ، وقبل الاصيل أقبلوا على واد شديد الانخفاض كثير التعاريج كبير الشبه بوادى دجلة ونظروا من عل فابصروا الجمال ترعى فى باطنه والاستعداد قائم حولها لتهيئة الطعام واعداد مكان المبيت ، فطابوا نفساً وقروا عيناً .

يقع بئر جندلى على خمسين كيلو متراً من القاهرة على ارتفاع ٣٠٠ متر من سطح البحر ، وقد قضينا بالقرب منه ليلتين ويوما وسط طبيعة نقية هادئة مشرقة فى صحبة أصدقاء مخلصين حباهم الله الصحة والبشر وسلامة الطوية ـ حقيقة انها سويعات تعد من أسعد فترات الحياة واصفاها ، وقد وافق اليوم الثالث من رحلتنا أول أيام العيد ، ففى الصباح صلينا ونحرنا غزالة ثم قضينا اليوم فى الوادى نلعب ونضحك ونتسابق ونمرح ونمزح كأننا الاطفال الصغار ، وبعد الغداء جلسنا الى الدليل نستمع لحكاياته الطريفة عن حياته فقال ـ وقد مال في جلسته واسند ظهره الى حجر كبير ، وعقد يديه على على راسه ـ من خمس وعشرين سنة كنت شابا شقيا أجوب الصحراء شرقا وغربا شمالا وجنوبا لا أستقر على حال ، وفى مرة نزلت السويس وقت موسم الحج فتحككت بشيخ مغربى يحمل خرجين كبيرين ينوء بثقلهما ، فظن انى اسديه المعونة فمد يده الى رأسى ودعا لى بالهداية ودعانى أن أرافقه الى الحجاز ، وقد كان فأديت الفريضة واستقبلت الكعبة ، وبصوت عميق خلته يخرج من كل جسمي دعوت الله أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر ، فاستجاب الله دعائى وعدت من الحج صالحاً طاهر القلب شديد الايمان ، والتحقت بالازهر فمكثت فيه خمسة عشر عاما الى ان قطعت عنى الجراية فى عهد الشيخ محمد عبده ، فتحولت الى التجارة وشغلت بعرض الدنيا ولكنى وقد ناهزت الخمسين — لا زلت شديد الحنين الى الجبل فاخرج اليه كلما سنحت الفرصة فاقضى فيه أياما قريبا من الله بعيداً عن المدينة وكدرها ثم أعود وقد تطهرت نفسى وهدأ عقلى واستراح جسمى — ثم انه على غير انتظار امسك عن الكلام وترقرقت دمعة فى عينه وتحول ببصره عنا واطرق برأسه ثم اطبق عينيه ونام .

كان البرد فى تلك الليلة شديدا فآوينا الى مضاجعنا مبكرين واشعلنا نارا كبيرة لنصطلى ، وفى اول الليل اكفهر الجو وعصف الريح وابرقت السماء وارعدت وانهمر مطر غزير ثم اخذت الصواعق تنقض من حولنا ، والبرق يومض بلمعان يضيء الفضاء كانه نور النهار ، والماء يتدفق الى الوادي بدوي شديد ، ثم فاض الوادي بسيل عنيف جارف ، فكان مشهدا رائعا . وبعد ساعة انقشعت السحب وصفا اديم السماء واشرق الوادى بنور القمر فسرى عنا ما ساورنا من قلق واضطراب ، ثم نمنا نوم الهناء والعافية . وقبل الفجر استيقظت على صوت حركة غير عادية بمعسكرنا فوجدت الجماعة يتقلدون سلاحهم وعلامات الاهتمام بادية على وجوههم وابصرت الدليل ينزل الى وهدة متوسطة ويقف وراء صخرة كبيرة ويتجه ببصره نحو البئر ثم يتبعه عبد الله بك ويهمس في اذنه بكلمات ويحتمى هو الآخر وراء حجر كبير ثم تتفرق باقى الجماعة على الصخور المجاورة ويتخذونها متاريس يكمنون وراءها وينصبون بنادقهم على حوافيها ـ دهشت لهذا الاستعداد وانتقلت الى حيث كان خالى رابضا واستوضحته فى صوت خافت جلية الأمر فاشار الى الدليل وقال ، انه رأى شبحين ومعهما بعير هبطا الى الوادى بالقرب من البئر وبعد ان عقلا الدابة اخذا ينسلان نحو مربط الجمال ملتزمين السفح ، فقلت هل تراهما ؟ قال ان البئر بعيد والضوء ضعيف والرؤية متعذرة .

وبعد قليل صاح الدليل « ها ! اكمنوا لاتطلقوا النار » ثم انه اطلق عيارا فى الهواء وعندها برز رجلان الى عرض الوادى واندفعا نحو الجمال ـ فصاح الدليل « جماعة اطلقوا النار في الهواء » فدوى فى سكون الليل صوت البنادق كانه زمجرة المدافع فذعر الرجلان لهذه المباغتة ووقفا مكتوفي اليدين علامة التسلم ، فانتقل اليهما سويلم الجمال وقادهما الى حيث كان الدليل ـ فقالا آنا قادمان من المرج قاصدين وادي الحقول على البحر الأحمر فى امر مستعجل ، وفى المساء كنا نجتاز اليحموم الازرق فشاهدنا ناركم فعرجنا عليكم لنستدفىء وماقصدنا بكم سوءا ولكنها مداعبة على عادة البدو ، وبعد اخذ

ورد امن الدليل على قولها ثم سألها عن البعير فقالا انهما وجداه ضالا فساقاه امامهما حتى لايقع غنيمة فى يد اولاد على (اسم قبيلة) وبعد ان نفحناهما بطعام وكبريت انصرفا بسلام وقد تنفس الصبح ولاح .

قضينا اليوم الرابع فى الصيد كذلك فوق سفوح جبل القطامية على ثلاث ساعات شرقى بىر جندلى، وعند الظهر التقينا بوادى الغز بجبل ابو شامة حيث كانت تنتظرنا الجمال وبتنا فيه تلك الليلة وفى صباح اليوم الخامس غادرنا ابا شامة راجعين عن طريق البعيرات فرق مشارف وادى دجله ، وبعد سير حثيث دام عشر ساعات من غير انقطاع وصلنا القاهرة عندالعشا. ونحن على احسن حال وفى اجود صحة ؟

الرمرداسيه محمد

(الرسالة) لاحظ القارىء ولا ريب ان عبد الله بك واخوته يمثلون جيلا من الناس اولع بالصفة الباقية من صفات الفتوة وهى الصيد . والصيد رياضة بدنية نفسية تربى فى النفوس أخلاق الرجولة كالنخوة والمغامرة والقوة ، وقد كانت ولا تزال ديدن الملوك والامراء والقادة ، فعسى أن يكون لهذا الجيل بقية فى مصر . وأن يكون لهذه البقية اثر صالح فى توجيه الناشئة لمثل هذه الرياضة .

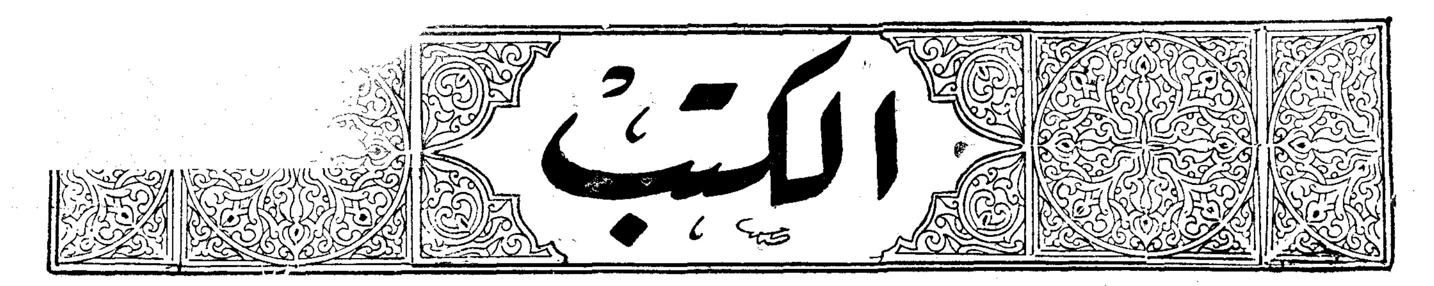
لغـــو الصيف

« بقية المنشور على صفحة ٦ »

هذا حق ولكن الادباء أصحاب كلام ، وما داموا يتكلمون فهم يؤدون حق الناس عليهم ، فالناس لا ينتظرون منهم إلا ان يكتبوا لهم ما يقرأون . قال : لا كل ما يقرأون ، بل ما ينتفعون به إذا قرأوه . قالت : هنا نختلف ، فقد ينبغى أن نتفق أولا على معنى الانتفاع بما يقرأ ، انت تريد إذا قرأت كتابا او فصلا ان تفيد شيئاً جديداً أو ان تضيف علماً الى علم ، وان تنمى حظك من الثقافة ، او ان يثير ما تقرأه فى نفسك عاطفة او لونا من ألوان الشعور ، وانت لا ترضى من القراءة دون هذا . فانت عسير ليست السبيل الى ارضائك سهلة ولا يسيرة . وانت لذلك تلتمس قراءتك عند قليل جدا من ادباء الشرق ، وعند عدد غير كثير من ادباء الغرب . ولكنك تخطىء كل الخطأ حين تزعم ان القراء جميعاً يطلبون الى الكتاب مثل ما تطلب اليهم . ولو قد فعلوا لكان الادباء شر الناس حالا وادناهم الى العجز والافلاس . أنت وامثالك تشقون على الادباء فيما تطلبون ، ولكنى أنا وامثالى لا نطلب اليهم كل هذا أو لا نطلبه اليهم فى كل وقت ، فنحن نحب ان ننتفع إذا قرأنا ، ولكنا نكتفي من القراءة بما دون ذلك . نريد منها ان تلهينا إذا ركبنا الترام او القطار ، وان تعيننا على انفاق الوقت إذا لم يمكنا نشاطنا من العمل ، وان تدعو الينا النوم إذا ابطأ علينا . ولا تغضب إن زعمت لك اننا قد نضيق بالقراءة الخصبة الغنية ، ونؤثر عليها هذه القراءة السهلة الفارغة التى لا تنفع ولا تضر ، ولكنها تعين على انفاق الحياة . وانت تستطيع ان تنكر على أدبائنا ما شئت ، ولكنك لن تستطيع فيما اعتقد ان تنكر عليهم انهم يكتبون لنا من الكتب ، وينشرون لنا من الفصول ، ويثيرون بيننا من ألوان الخصومة والحوار ما يمكننا من ان نركب الترام والقطار ، ومن ان نقرأ إذا أجهدنا العمل ، ومن ان نتعجل النوم إذا طال انتظارنا له . وانت تظن ان هذا قليل ، وأؤكد لك ان هذا كثير ، فليس الامر ذو الخطر فى الحياة هو ان نتعلم ونثقف انفسنا ، وانما الامر ذو الخطر حقاً هو ان نحتمل الحياة ، وادباؤنا يعينوننا على احتمال الحياة حقا بما يكتبون ويذيعون . قال : قد يكون هذا حقا ولكنه مؤلم

ثم سكت وأطال السكوت . وسكتت هى فاطالت السكوت . ثم مد يده الى قدحه فاستنفد ما كان فيه من ماء الورد . وأراد ان يعود الى صمته ولكنها سألته باسمة : فيم هذا الصمت الطويل ! أمستمع أنت لحديث الزهر ؟ أم مشفق أنت من الطير والجن ان تنم عليك بما تقول ؟ هنالك ابتسم ابتسامة شديدة المرارة وقال فى صوت حزين : كلا لست استمع للزهر ، ولا أخاف الطـير والجن وانما استمع لنفسى واخافها . فهل تعلمين انك قد بغضت الى الكتابة والانتاج الادبى منـذ اليوم . قالت وهي مغرقة فى الضحك : انا ! ولماذا ؟ قال : من يدرى ؟ لعلى لا أكتب ولا أنشر إلا لأعين القراء على أن يركبوا الترام والقطار ، وينفقوا الوقت إذا اضناهم العمل ، ويتعجلوا النوم إذا أبطأ عليهم النوم . قالت : لم أقل هذا وهبنى قلته ، أليس يكفيك أن تكون عونا لقرائك على احتمال الحياة ؟ قال : لا . قالت : انك لواسع الطمع عظيم الكبرياء . ثم مدت يدها الى اناء من آنية الزهر فاخذت منها قرنفلة وضعتها فى صدره ، ووردة أدنتها من فمه . وقالت : لتلتمس عزاءك عند هـذه الوردة ، وهذه القرنفلة فما أرى إلا انهما قادرتان على هذا العزاء . ولكنك مخطىء ان ظننت انك قد انسيتني بهذا الحديث قصة الورد والقرنفل ، فما زلت أذكرها وانتظرها . فتحدث . قال : أنها يا آنسة قصة طويلة وليس هذا وقت البدء فيها . فاذا عدت من رحلتك السعيدة الى أوربا فسأحدثك بها ، وانا زعيم بانك ستجدين فى الاستماع لها لذة ورضى ؟

طه حسين



أهـــل الكـهف

للدكتور على مصطفى مشرفه

عزيزى الأستاذ توفيق الحكيم

لطالما تاقت نفسى إلى رؤية أدب عربي اجد فيه الغذاء الروحى واللذة الفكرية، اللذين ألفتهما فيما اطلع عليه عادة من الأدب. ومع إيمانى باليوم الذي يرتفع فيه آدبنا إلى المستوى العالمى، كنت اشعر بأن هذا اليوم سيجىء بحكم طبيعة الأشياء متأخرا، فربما رآه اهل جيلى، وربما حبت به الظروف ابناء جيل قادم. فلما قرات «اهل الكهف» ـ الذى تكرمت على بنسخة منه ـ علمت علم اليقين ان اليوم الذى كنت ارقبه قد طلع وملأت شمسه الآفاق

تعلم انى لست من الأدباء ولا من (المستأدبين)، وإنما نظرتي إلى الأدب، كنظرتي إلى غيره من نواحي الفن الانسانى: نظرة الرجل المثقف العادى يطلب الجمال والالهام الصادق حيث يجدهما، كما يتطلب مستوي خاصاً من التفكير المطلق الخالص فيه لوجه الحق حيث وجد. وفى رايي ان «اهل الكهف» قد ارتفع من كل هذه النواحى إلي أسمي ما قرأته. وإن كانت لي ملاحظة على كتابك فربما كانت شيئاً من التحديد فى دائرة ما تناولته فيه من الموضوعات، فما كان اشوقنى إلى رؤية بعض المسائل الاجتماعية مثلا تعالج بنفس القلم الذى صور لنا إيمان المسيحيين الأولين وقابل لنا بين الحقيقة والتاريخ! ولكن لعل ذلك شراهة منى، فالوليمة ولاشك فاخرة وإن كانت تشحذ شهية امثالى.

لاتنتظر منى نقداً فنياً لروايتك التمثيلية فاشخاص الرواية كلهم أحياء يتحركون ويلمسون ـ ربما كان الملك اقل الشخصيات وضوحاً ولعلك تريده عديم الشخصية ـ والمواقف على اشدما تكون من التشويق والتأثير. وإلى حد ما، استطيع ان ارى، ستكون روايتك ناجحة علي المسرح إذا استطعت ان تجد لها ممثلين يفهمون ادوارهم فيها، واظنها تكون ناجحة بدون ذلك.

لم يبق علىّ بعد هذا إلا ان اشكرك على التحية التي انطوى عليها إرسالك نسخة من كتابك إلى، وأن ارجو ما انتظره لك من التوفيق والسلام؟

وجدت خطا ـــ لعله مطبعي ـــ على صفحة ٨٨ السطر ٢ «فربما أرى» والصواب «فهاار»

النـــجوم فى مسالـكها

تأليف الاستاذ جيمس جينز

وترجمة الدكتور احمد عبد السلام الكردانى

كتاب جليل الموضوع لطيف الحجم أنيق الطبع كان محله من المكتبة العربية خاليا. وضعه السير جيمس جينز أحد اساطين علم الفلك فى العصر الحديث باسلوبه المشرق وبيانه الرائع وعرضه الحقائق العلمية العويصة فى معرض سهل المأخذ قريب التناول، وذلك ما انفرد به بين العلماء، وتميزت به كتبه بين الكتب.

بسط المؤلف فى هذا الكتاب (خلاصة ما انتهى اليه العلم الحديث فى الكون ونظامه واصله ونشوئه، وتركيب اجسامه وذراته، وتولدها وانحلالها، وبحث مدى الكون من حيث هو محدود او غير محدود ومتمدد أو منقبض، وعرّج علي الطاقة والاشعاع والنسبية، ثم بحث الحياة في عالمنا والعوالم الأخرى فى الكون [1]) واستوعب تفصيل هذه المباحث الطريفة فى ثمانية فصول واربعة ذيول.

قرأه الدكتور احمد عبد السلام الكردانى ناظر مدرسة القبة الثانوية ـ وهو فى هذا الموضوع ثقة ـ فاعجب بمادته وطريقته فترجمه ترجمة أمينة رصينة. ولم يقف جهد الاستاذ المترجم عند امانة النقل. وانما تجاوزها الى مسألتين خطيرتين هما تمصير الكتاب، وتحقيق المصطلحات، فمصر الكتاب بان وضع للقارىء المصرى مصورا للنجوم يبين ما يرى منها فى القاهرة علي الدوام أو فى بعض الايام، كما وضع المؤلف مصوره مراعيا فيه موقع انجلترا وحال القارىء فيها. وحقق المصطلحات بالرجوع الى مظانها العربية ككتاب عجائب المخلوقات للقزويني ومحاضرات السنيور نللينو المستشرق الايطالى، ثم جعل للكتاب لحقا يشتمل على فهرس أبجدى شامل لمواده، وقائمة بأسماء النجوم والسيارات باللغتين العربية والانجليزية، وقائمة ثانية بالحروف العربية المقابلة للحروف اليونانية والرومانية، ثم قائمة ثالثة بالمصطلحات وما يقابلها بالانجليزية،

(١) مقدمة المترجم.

وأثر الجهد والعناية باد فى ترجمة الكتاب وتحقيقه وصوره وطبعه. وحسبه مزية ان يكون السير جبس مؤلفه، والدكتور الكرداني مترجمه، ولجنة التأليف والترجمة ناشرته، ومطبعة دار الكتب المصرية طابعته ؟

ا. ح.

رحلة إلى بلاد المجد المفقود

بقلم وريشة مصطفى فروخ – مطبعة الكشاف بيروت

كتاب أنيق الشكل جيد الطبع، لا تكاد تتناوله حتى تدرك ان صاحبه من رجال الفن، فهو بقلمه وبريشته، على غلافه صورة لناحية من جامع قرطبة وقد كتب عنوانه من الخارج ومن الداخل بخطين مختلفين طريفين، وتناثرت فوق صحائفه طائفة من الصور ألتقطت بعضها عدسة التصوير، ونقشت بقيتها ريشة المؤلف الفاضل، فجاءت فى مجموعها جامعة بين الجمال والفائدة، ولذلك فالكتاب من هذه الناحية طريف خفيف الظل.

وتقرأ فى أوله كلمة تحت عنوان «الأندلس» فتلمس فيها إعجاب الكاتب بتلك البلاد وتشوقه اليها، بل هيامه بها قبل زيارتها، وتلمس ذلك فى مثل قوله «أجل شغفت بها طفلا وشابا وسأحتفظ بهواها مدى الحياة» وكأنك لشدة حماسته تسمع صوته ولست تقرأ عبارته، ولذلك فالكتاب من هذه الناحية قوى الروح عميق الأثر.

ولقد أحسن الكاتب صنعا بأن مهد لكتابه بكلمة في أهمية الفن، ثم بلمحة فى الفن العربى عامة، والاندلس خاصة، ثم بعجالة فى تاريخ الاندلس.

قضى المؤلف أربعة ايام فى مجريط، ثم اتخذ سبيله الى طليطلة ويسميها المنيعة، فمتع نفسه بجمال آثارها ثم عاد الى مجريط فاتخذ القطار من محطة مديوديا الى قرطبة دار العلم كما نعتها، فزار جامعها ووصفه وصفا مسهبا وأتى له بطائفة من الصور البديعة ثم سار الى أشبيلية، وهى عنده مدينة الطرب وهناك زار قصر الزهراء ووصفه وصفا دقيقا ومن أشبيلية سار الى اختها غرناطة مقر الحمراء فوصفها فى حماس قوى واعجاب شديد.

ومما احمده للمؤلف تلمسه الروح العربية فى تلك البلاد، مما يشهد بدقة ملاحظته، ففى مجريط أحس تلك الروح فى كرم أهلها، ووفرة الطعام على موائدهم، وفى طليطلة رآها في نوافذها وأبوابها الدمشقية وفيما يعرضه الباعة فى الطرقات من اقمشة زاهية الألوان، من أساور وأقراط و «بقج» مقصبة وأسلحة وحلى... الخ وفى قرطبة وأشبيلية وغرناطة تجلت له تلك الروح فى عادات الناس وفى شكل المنازل ذوات الردهات الفسيحة والابواب والنوافذ العربية، وفيما رآه من امثال بائعى «البوظة» والليمونادة، وهم يضربون صحونهم ويصيحون فى لحن عربي على نحو ما يشاهد فى شوارع دمشق.

ولئن قدرت قيمة الكتب بما تتركه من أثر في نفوس قارئيها فاني أشهد ان هذا الكتاب من أجمل الكتب فى بابه ومن أعظمها فائدة، وكما ان تلك الآثار المحزونة الجليلة التي وصفها تعد دمعة أرسلها التاريخ على ما فات من مجد العرب فان هذا الكتاب يعتبر بدوره دمعة كريمة على ذلك المجد وعلى تلك الآثار.

بيد انى على الرغم من اعجابى اصارح المؤلف بان اسلوبه مع الأسف لا يتمشى مع روح الكتاب ولا يتناسب مع ما يحتويه من فن وأدب، ولولا حماسة الكاتب، ودقة وصفه، وتدفق معانيه، لفقد الكتاب بذلك الأسلوب كثيراً من قوته، هذا عدا ما فيه من هفوات تاريخية لا أحبها له، كقول المؤلف: ان معاوية بن هشام ابن عبدالملك المسمى بالداخل أتى من الشرق هاربا عام ٧٥٩م والواقع ان الذى جاء هاربا من الشرق هو ابنه عبدالرحمن الداخل، وكان ذلك عام ٧٥٦م. وقوله ان العرب طردوا من الأندلس فى القرن الرابع عشر، والصحيح أنهم لم يطردوا إلا فى أواخر القرن الخامس عشر عام ١٤٩٢م.

ولكن ذلك لن ينقص من جوهر الكتاب إلا كما ينقص من جمال الحسناء شذوذ بسيط فى نظام ملبسها، والمؤلف كفيل بان يزيل هذا النقص حتى يكون الكتاب من جميع جهاته جديراً بفنه وعلمه وأدبه ؟

م. الخفيف

لجنة التأليف والترجمة والنشر

الحرب العـــالمية

موضوع من أهم الموضوعات توافر على بحثه مؤرخ عالمي شهير هو الأستاذ سيدني برادشوفين فأخرج فيه كتابه المشهور

أسباب الحرب العالمية

يشرح فيه حالة اوربا السياسية من حرب السـبعين الى فاجعة سيراجيفو ، ويعالج الأسباب التى أفضت بعد تلك الفاجعة الى الحرب العالمية ، فهو صفحة شائقة من التاريخ . لاغنى لطالب التاريخ الأوربي الحديث عن دراسته ولا القارىء المثقف عن استكناه خفايا الماضى القريب من بين ثناياه

عربه عن الانجليزية الاستاذ محمود الدسوقى

وتولت «لجنة التأليف والترجمة والنشر» إصداره

فجاء بجزأيه فى قرابة ٧٠٠ صفحة

وثمنه ٢٥ قرشا عـــدا أجرة البريد

النجوم فى مسالكها

تأليف

العالم العالمى السير جمس جينز

وترجمة

الدكتور احمد عبد السلام الكردانى

ناظر مدرسة القبة الثانوية

وصاحب المؤلفات المعروفة في الكيمياء والطيران والميكانيكا

يبسط خلاصة ما انتهى اليه العلم الحديث فى الكون ونظامه وأصله ونشوئه ومداه . ويبحث الطاقة والاشعاع والبنية والحياة فى عالمنا والعوالم الأخرى باسلوب سهل طلى يجعلك تقرأ هذا العلم الدقيق كما تقرأ الرواية الممتعة

يحتوى على سبع واربعين لوحة واربع خرائط وقوائم بالمصطلحات وباسماء النجوم باللغتين الانجليزية والعربية

طبعته اللجنة بدار الكتب المصرية على ورق صقيل فجاء فى نحو مائتين وستين صفحة

حياة نابليون

للأستاذ حسن جـلال

مؤلف الثـورة الفرنسية

يبحث بحثا مستفيضا فى حياة نابليون وحروبه وآثاره

ويقع فى جزأين ــ وثمنه ٢٠ قرشا

فتـــح العرب لمصر

تأليف الدكتور بتلر

وتعريب الأستاذ محمد فريد أبو حديد

يصف خير وصف حالة مصر من الوجهة السياسية والعلمية قبل الفتح وأثناءه وبعده

وثمنـــه ٤٠ قرشا عدا أجرة البريد

تطلب هذه الكتب من اللجنة بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة

طبعت بمطبعة شركة المجلات المصورة المصرية